

دار
الشروق



المكتبة
الكلاسيكية

ويليام شكسبير
حلم ليلة
في منتصف الصيف

ترجمة: حسين أحمد أمين



دار الشروق

مقدمة

(١)

نبدأ بالعنوان المضلل للمسرحية ، وهو الذى يوحى بأن أحداثها وقعت فى منتصف الصيف ، بينما الواضح من النص أنها وقعت فى الفترة ما بين ٢٩ إبريل وأول مايو . ففى الفصل الرابع يتحدث ثيسوس عن العشاق الأربعة فيقول :

« لابدّ أنهم استيقظوا فى ساعة مبكرة للاحتفال مثلنا بمطلع الفجر ، وأداء طقوس عيد أول مايو ، وأن يكونوا قد علموا بنيتنا الخروج فجاءوا لاستقبالنا » .

ففى الغابة قضى العشاق إذن ليلة ٣٠ إبريل وصبيحة أول مايو . وإذا كان ليساندر قد طلب من هيرميا فى المشهد الأول من الفصل الأول أن تهرب معه إلى الغابة « غدا فى الليل » ، فلا بدّ من أن تكون أحداث المسرحية قد بدأت يوم ٢٩ إبريل . وفى ذلك المشهد يُمهّل ثيسوس هيرميا حتى يوم زفافه إلى هيبوليتا لتقرّر ما إذا كانت تقبل الزواج من ديميتريوس . وحيث أنه فى الفصل الرابع (أى يوم عيد أول مايو) نسمعه يسأل إيجيوس : « أليس اليوم هو اليوم المحدد لإدلاء هيرميا برّدها وقرارها ؟ » ، فيجيبه إيجيوس بالإيجاب ، فلا بدّ من أن يكون حفل الزفاف فى ختام المسرحية قد تمّ فى ذلك اليوم .

غير أن ثيسوس فى مستهل المسرحية (أى يوم ٢٩ إبريل) يتحدث عن زفافه الذى سيُحتفل به « بعد أربعة أيام » (أى فى ٣ مايو) ، وهو ما يوحى بأن المؤلف قد

إنتاج (جدران المعرفة) للنشر الإلكتروني المجانى
للمساهمة معنا Theknowledge_walls@yahoo.com

عدّل من مسار أحداث المسرحية أثناء كتابته لها ، ونسّى تصحيح عبارة « بعد أربعة أيام » في مستهلّها .

فأحداث المسرحية إذن لا تقع لا في منتصف الصيف ، ولا حتى في شهر من شهور الصيف . والكثير من ترجمات المسرحية إلى اللغات غير الإنجليزية تغفل من العنوان كلمة « منتصف » وتجعله « حلم ليلة صيف »^(١) . غير أننا الاحتفاظ بالعنوان كما هو ، على أساس أنه ربما كان شكسبير قد أسأها هذا الاسم لأن حفل الزفاف الذي عُرضت المسرحية أثناءه لأول مرة تمّ في منتصف الصيف ، (وإن لم يكن ثمة دليل على ذلك) ، أو لأنها شبيهة بالأحلام الغريبة التي يراها النائم في ليالي منتصف الصيف بتأثير شدة حرارة الجو .

(٢)

أما تاريخ كتابة شكسبير لهذه المسرحية فحوالي عام ١٥٩٥ ، حين كان في نحو الحادية والثلاثين . فإن كان الشك لا يزال يحيط بتاريخ كتابته لمسرحياته ، خاصة تلك التي كُتبت قبل عام ١٥٩٨ ، فبوسعنا أن نذكر في شيء من الاطمئنان أن السنوات فيما بين ١٥٩٤ و ١٥٩٦ شهدت تأليف المسرحيات التالية :

« سيّدان من فيرونا » - « خاب مسعى العشاق » - « روميو وجوليت » - « ريتشارد الثاني » - « حلم ليلة في مُنتصف الصيف » . وثمة في المشهد الأول من الفصل الثاني حديث طويل لتيتانيا ملكة الجن - لا دخل له على الإطلاق بأحداث المسرحية - عن اضطراب نظام الفصول وما نجم من كوارث عن تقلّب الطقس ، يوحى بأنه وصف للأحوال الجوية الشنيعة التي سادت انجلترا عام ١٥٩٤ ، والتي تحدّثت عنها عدة مصادر معاصرة وصلت إلى أيدينا .

وقد صدرت الطبعة الأولى من المسرحية عام ١٦٠٠ ، أثناء حياة المؤلف ،

وبترخيص من فرقته . ثم ظهرت الطبعة الثانية عام ١٦١٩ (بعد وفاته بثلاث سنوات) ، وإن كان قد كُتب على غلافها كذِبًا أنها طُبعت عام ١٦٠٠ . وهي طبعة صحّحت أربعة أخطاء مطبعية وردت في الطبعة الأولى ، واحتوت على أكثر من ستين خطأ جديدًا . وإلى هذه الطبعة الثانية الرديئة استندت طبعة الفولبيو الأولى عام ١٦٢٣ الحاوية لكل مسرحيات شكسبير (عدا مسرحية بركليس) وحيث إن الطبعة الأولى قد اعتمدت على مسوّد المؤلف ، فهي أجدر الطبعات القديمة بالثقة ، ولا تثير من المشكلات ما تثيره معظم المسرحيات الأخرى التي لم تطبع إلا بعد وفاة شكسبير . . . ومن الشائق أن نذكر هنا أن المؤلف وفرقته المسرحية لم يكن من مصلحتها عادة نشر التمثيليات التي يقدّمها على المسرح في كتب ، حتى لا تستخدم النصّ المطبوع فرق أخرى ، وحتى لا يؤثر طبعها في إقبال الجمهور على مشاهدتها . فالمسرح كان ههنا الأول والأخير . غير أن إعجاب الناس بشكسبير دفع بعض الناشرين أثناء حياته إلى بذل الجهود سرًا للحصول على نصوص مسرحياته لطبعها ، وإلى رشوة بعض ممثلي الأدوار الثانوية حتى يُملّوا عليهم النصوص كما وعدها ذاكرتهم .

ويكاد يكون مؤكدًا أن المسرحية أُلّفت كى تمثّل أثناء حفل عُرس ، وإن كان ثمة خلاف حول هوية صاحب الحفل ، وحول ما إذا كانت الملكة إليزابيث الأولى من بين المدعوين إليه . فحديث ملك الجان الطويل في ختام المسرحية الذي يدعو فيه للعروسين باليمن والبركات ، ولنسلها بالحظ السعيد ، ولصاحب الدار بالخير والسرور ، لا يكاد يكون له مبرر غير تمثيل المسرحية أثناء حفل زفاف . أما عن حضور الملكة إليزابيث الحفل فيري البعض في ذلك استحالة مع ما ورد في الفصل الأول من استنكار لحياة العزوبة (وقد بقيت إليزابيث طيلة حياتها دون زواج) ، في حين يرى الآخرون أن ثناء أوبريون ، ملك الجان ، على إليزابيث في الفصل الثاني يوحى بأنها كانت من بين الحاضرين في العرض الأول للمسرحية .

(١) هو في الفرنسية مثلاً *Le songe d'une nuit d'été* في ترجمة فرانسوا فيكتور هيجو .

السابقة إلى المصادر أن ثمة في المسرحية أربع مجموعات من الشخصيات : ثيسوس وهيبوليتا - العشاق الأربعة (هيلينا وديميتريوس ، وهيرميا وليساندر) - الجن - العمال . فإن كانت المسرحية تبدأ بحديث بين ثيسوس وخطيبته هيبوليتا عن زواجهما المرتقب ، فهي تنتهى باجتماع كافة أفراد المجموعات - مع ما لكل منها من شواغل خاصة - في حفل الزفاف .

ولا تنحصر عبقرية شكسبير في استطاعته التوفيق والجمع بين كل تلك العناصر المتنافرة في بناء تمثلي واحد ، وإنما تتعداها إلى قدرته على خلق جو سحري يُغلف المسرحية كلها ، (وهو ما يُعتبر عنوان المسرحية ، « حلم ليلة في منتصف الصيف » ، مفتاحاً له وتعبيراً عنه) ، وكذا مهارته في المزج بين الكلاسيكية والرومانسية والواقعية في تناوله لأحداثها ، وتنقله الرائع السلس بين استخدام العمال للنثر ، والعشاق للشعر المَقفى . والنبلاء للشعر النثور ، والجن للأغاني . فإن كانت كافة شخصيات المسرحية - فيما عدا بوتوم ، وربما بك أيضاً إلى حد ما - باهتة المعالم (بحيث يمكن الحديث مثلاً عن ليساندر وديميتريوس بأنها العاشق رقم ١ والعاشق رقم ٢) ، فإن إتقان تصوير الشخصيات لم يكن هدف المؤلف ، وإنما كان هدفه خلق جو متميز من السحر عن طريق التحليق في سماء الخيال ، مما لا يدع حاجة أو داعياً إلى العناية بتصوير الشخصيات . وهو ما يذكّرنا إلى حد ما بمسرحيات تشيخوف وقصصه التي يظل جَوْهاً ، لا شخصياتها ، هو العالق دوماً بذاكرة المشاهد أو القارئ .

(٤)

كتب صامويل بيبس في يومياته بعد نحو نصف قرن من وفاة مؤلف « حلم ليلة في منتصف الصيف » ، يقول :

« ٢٩ سبتمبر ١٦٦٢ :

« قصدتُ مسرح كينجز حيث شاهدت « حلم ليلة في منتصف الصيف » التي لم أشاهدها من قبل ، ولن أشاهدها أبداً مرة أخرى . فهي أسخف وأتفه مسرحية

أما عن المصادر التي استقى منها شكسبير عناصر مسرحيته فمتعددة ، رغم أن البناء والحبكة له ، ورغم أنه استوحى الكثير من خبراته الخاصة ومن ذكريات شبابه الأول في ستراتفورد . . فقصّة الاحتفال بزواج ثيسوس من هيبوليتا ملكة الأمازونات ، مأخوذة من « قصة الفارس » الواردة في « حكايات كانتربوري » لثوسر ، ومن ترجمة بلوتارك لحياة ثيسوس . فإن كان شكسبير قد استقى فكرة مسرحية « سيدان من فيرونا » من قصة الكاتب الأسباني مونتيايور « ديانا » (١٥٥٩) ، وتكملتها التي ألفها جاسبار جيل بولو عام ١٥٦٤ وأسأها « ديانا العاشقة » ، فقد عاد إلى استلهام أحداثها في « حلم ليلة في منتصف الصيف » ، فيما يتعلق بمطاردات العشاق في الغابة ، وتعاويز الحب التي أثرت في العلاقات بين هيرميا وهيلينا ، وليساندر وديميتريوس .

وقد أخذ شكسبير قصة بيراموس وثيسبي التي مثلتها جماعة العمال في حفل زفاف ثيسوس من كتاب « مسخ الكائنات » للشاعر اللاتيني أوفيد . أما العمال الستة أنفسهم (بمن فيهم النشاج بوتوم ، وهو أطرف شخصيات المسرحية وأحسنها تصويراً وأكثرها إشاعة لحو المرح فيها) ، فمن خلق شكسبير وحده . وأما الجنّي الصغير بكّ (المعروف في الريف الإنجليزي باسم رويين جودفيلو) وكذا سائر الجن ، فقد استوحى شكسبير في تصويرهم الأدب الشعبي الإنجليزي ، وكتاب ريچينولد سكوت « اكتشاف السحر » الصادر عام ١٥٨٤ . ومن هذا الكتاب أيضاً ومن رواية « الجحش الذهبي » لأبيلويس (١٢٤ - ١٧٠ م) ، أخذ شكسبير فكرة رأس الجحش التي وضعها الجنّي بك مكان رأس بوتوم . ومن هذه المصادر وغيرها نقل المؤلف اسمَ أوبيرون وتيتانيا وبعض الأفكار عن رقصات الجن وأغانيهم ، وفكرة استخدام كورينس الخاطي للنقط والفواصل ، مما يحدث اضطراباً يُفسد المعنى ، وقد يعكسه .

بيد أن المعجزة الحقيقية التي حققها شكسبير في هذه المسرحية (كما في الكثير من مسرحياته الأخرى) تتمثل في خلقه وحدة واحدة بالغة الانسجام والسلاسة والعذوبة من كل هذه العناصر التي استوحاها من مصادر عدّة . وتوضّح إشارتنا المختصرة

شاهدتها في حياتي . وكان استماعي الوحيد هو بعض الرقصات فيها ، وبجبال بعض الممثلات !

غير أن المؤكد من تاريخ المسرحية منذ عرضها الأول وحتى يومنا هذا أنها كانت دوما من أحب مسرحيات شكسبير إلى قلوب القراء والمشاهدين ، بل وإلى كبار الشعراء من أمثال ميلتون وكيتس . يشهد على ذلك إقبال الموسيقيين على تلحين عدة أوبرات مستقاة منها ، أشهرها أوبرا هنري بورسيل (عام ١٦٩٢) المعروفة باسم «ملكة الجان » ، وأوبرا بنجامين بريتن « حلم ليلة في منتصف الصيف » عام ١٩٦٠ ، وقيام مندلسون بكتابة افتتاحية الموسيقى الشهيرة للمسرحية عام ١٨٢٦ ، وماكس راينهاردت بتحويلها إلى فيلم سينمائي عام ١٩٣٥ ، والمخرج المسرحي الشهير بيتر بروك بإخراجها إخراجا فريداً في بابه عام ١٩٧٠ لتقدمها على المسرح في ستراتفورد بلدة شكسبير ، وتولى عرضها عاماً بعد عام في الهواء الطلق بحديقة ريجينست بارك في لندن . كل هذا بالرغم من أنه نادراً ما وُفقُ خرجُ للمسرحية طوال القرون الأربعة التي مرت على تأليفها (١٥٩٥ - ١٩٩٥) إلى تحقيق التوازن المثالي بين العناصر المختلفة فيها . ويقول النقاد اليوم إن هذه المسرحية كانت من أحظى مسرحيات شكسبير بالشعبية والنجاح في القرن العشرين .

* * *

فإن كان لابد من الإشارة إلى محور رئيسي للمسرحية ، فهو الأنماط المختلفة من الحب ، وما تحفّ بالحب عادة من متاعب وصعاب . ففي المشهد الأول من الفصل الأول :

ليساندر : واحز قلبه ! ما قرأت من شيء ولا سمعتُ من القصص والتاريخ إلا فهتُ منه أن طريق الحب هو دوماً مخوف بالمصاعب والأشواك . . .
فثمة إما تفاوت المكانة الاجتماعية بين الحبيبين . . .

هيرميا : ما أضخمهما من عقب تحول دون وُضَل المغمورين !

ليساندر : أو تفاوت كبير في السن بينهما . . .

هيرميا : ما أكبرها من عقبة تحول دون وُضَل الشباب !

ليساندر : أو أن الأمر والاختيار في يد الأصدقاء . . .

هيرميا : ما أشبعها من عقبة ترك أمر اختيار الحبيب لأعين الآخرين !

ليساندر : أو حتى إن توقّرت المحبة والكفاءة ، فكثيراً ما كان الحب مهتداً بنشوب الحرب ، أو حلول الموت ، أو وفود المرض ، ما يجعله مؤقتاً كالصوت ، عابراً كالخيال ، قصيراً كالعلم ، خاطفاً كالبرق في الليلة الظلماء .

وفي نفس المشهد تستفسر هيلينا الباسفة في حبها لديميترئوس عن سرّ استحواذ صديقتها هيرميا على قلبه وهي العاشقة لغيره :

هيلينا : علّمتني إذن كيف أبدو وأظهر . . علّمتني ذلك الفن الذي مكّنتك من التحكم في خلجات قلب ديميترئوس .

هيرميا : أعبس في وجهه فيظل صامداً في حبه لي .

هيلينا : ما أخرى ابتساماتي أن تتعلم هذا الفن من عبوسك !

هيرميا : أغمره بلعائتي فيغمرنى بحبه .

هيلينا : ألا ليت لتوسلاتي نفس تأثير لعناتك .

هيرميا : كلما زادت كراهيتي له زاد تعلّقي بي .

هيلينا : وكلما زاد حبي له زادت كراهيتي لي .

والأهم من ذلك كله عند شكسبير هو إبراز فكرة أن الحب أعمى ، بمعنى أنه خاضع لنزوات قوى غير بشرية (يمثلها في هذه المسرحية الجنيان أوبيرون وبّك) ، مما يدفع العاشق دفعاً ، ودون إرادة منه ، إلى توقّف الفضائل والمحاسن كلها في العاري منها ، والتعامي عنها في التحلّي بها ، والتثقل من هوى إلى آخر دون أدنى مبرر ، مع الظن أنه في هواه الأول كان وأهما أو غرّاً بليداً ، ثم صارت له بعد زوال الوهم عينان مبصرتان واضحتا الرؤية :

ليساندر : لم أكن في وعي حين أقسمت لها أنى أهواها .

هيلينا : ولا أنت في وعيك الآن إذ تقرآن تنساها !

فهو قدّر لا دخل لإرادات البشر فيه ، وسهم من سهوم كيوييد يصوّبه في أى اتجاه شاء .

* * *

والمرسحة مع ذلك هى في رأى في غنى عن التعليق والتحليل والبحث عن محورها وفكرتها الرئيسية . فهى إنما تدعونا فحسب إلى الاستمتاع بها ، والاستغراق في شاعريتها وسحرها وسعة الخيال فيها وجمال نسيجها متعدد الألوان . وهو استغراق يلهينا عن حشد من الأخطاء التاريخية وغير التاريخية التى وقع شكسبير سهوا فيها ، أو كان متنبها إليها ولكنه لم يعبأ بتصحيحها : كالإشارة إلى نيسيوس (وهو من أبطال الأساطير الإغريقية القديمة) باعتباره « دوق » أثينا ، والحديث عن ساعة تعلن دقائقها عن حلول منتصف الليل ، وعن كنائس والمقابر في أفنتيها ، وعن نظام الرهينة ، وعن عمال ذوى أسماء وسماهات إنجليزية ، وعن طلقات البنادق ، وعيد القديس فالنتين ، وعقائد مسيحية شتى ، هذا بالإضافة إلى ما أشرنا إليه آنفا من خطأ في تحديد الفترة التى وقعت فيها أحداث المرسحة ، وربما في عنوان المرسحة ذاته .

حسين أحمد أمين

مصر الجديدة في ١٨ إبريل ١٩٩٤

شخصيات المرسحة

دوق أثينا	نيسيوس
ملكة الأمازونات (١) ، وخطيبة نيسيوس	هيوليئا
شاب أثيني يعيش هيرميا	ليساندر
شابة تعشق ليساندر	هيرثيا
شاب أثيني يعيش هيرميا	ديميتريوس
شابة تعشق ديميتريوس	هيلينا
والد هيرميا	إيجيوس
المشرف على تنظيم الاحتفالات في بلاط نيسيوس	فيلوسترات
عمال أثينيون	بوتوم
	كوينس
	فلوت
	سناوت
	ستار فلينج
	شنج
	نجاج
	نجار
	مصلح المنافع (٢)
	سمكرى
	خيماط
	نجار

(١) الأمازونات : نساء عاربات زعمت الأساطير الإغريقية أنهن كن يقمن في مملكة لمن قرب البحر الأسود .

(٢) جمع منفاخ .

أوبيرون ملك الجن
 تيتانيا ملكة الجن
 بـك (أو روبين جودفيلو) خدام أوبيرون
 زهر البسلة
 نسج العنكبوت
 عُة
 حبّ الخردل

من الجن

أتباع - رجال البلاط - جنّ وجنيات

تقع أحداث المسرحية في أثينا وغابة خارجها

مشاهد المسرحية

الفصل الأول :

المشهد الأول : قصر الدوق في أثينا

المشهد الثاني : منزل كوينس في أثينا

الفصل الثاني :

المشهد الأول : غابة قرب أثينا

المشهد الثاني : مكان آخر في الغابة

الفصل الثالث :

المشهد الأول : في الغابة

المشهد الثاني : في الغابة

الفصل الرابع :

المشهد الأول : في الغابة

المشهد الثاني : منزل كوينس في أثينا

الفصل الخامس :

المشهد الأول : القصر في أثينا

المشهد الثاني : مكان آخر في القصر

الفصل الأول

المشهد الأول

قصر الدوق فى أثينا

(يدخل ثيسوس وهيوليتا مع فيلوسترات وأتباع آخرين)

ثيسوس : ساعة زفافنا تقترب ، أى هيوليتا الحسنة . وبعد أربعة أيام سعيدة يظهر هلال الشهر الجديد . ومع ذلك فإنى لأخال القمر القديم متباطئا فى أفوله ، فيقف تباطؤه حائلاً بينى وبين تحقيق رغباتى ، كما تقف الأرملة أو زوجة الأب حائلاً بين الشاب وبين أن يرث ثروة أبيه .

هيوليتا : سرعان ما سيُغْلَف الليلُ كلَّ نهار من تلك الأيام الأربعة ، وتقطع الوقت أحلام كل ليلة من الليالى الأربع . وبعدها يشهد احتفالات زفافنا القمر الجديد ، وهو فى صورة قوس فضى تشده قبضة قوية فى السماء استعداداً لإطلاق السهم .

ثيسوس : إمض يا فيلوسترات ، وادعُ شباب أثينا إلى المشاركة فى الاحتفالات ، وأيقظ من سُباتها روح المرح بصخبها وبهجتها ، واصرف إلى الجنائز مشاعر الحزن الشاحب الذى لا يليق باحتفالنا البهيج .

(يخرج فيلوسترات)

خطبتُ مودَّتَكَ يا هيوليتا بسيفى ، وظفرت بحبك عن طريق إلحاق

الأذى بك^(١) . غير أنى إذ أحتفل بزواجى منك سأتهج منوالاً آخر :
منوال الفخامة ونشوة الظفر وتهينة المذات .
(يدخل إيجيوس وابنته هيرميا ، يتبعها ليساندر وديميتريوس)

إيجيوس : تمنياتنا بالسعادة لدوقنا الشهير ثيسبيوس .

ثيسبيوس : شكراً لإيجيوس النبيل .. ما أبارك ؟

إيجيوس : إنها أتى إليك وملئى الغضب ، لأتقدم بشكوى من ابنتى هيرميا .
تقدّم يا ديميتريوس .. مولاي النبيل ، لقد حظى هذا الرجل بموافقتى
على الزواج منها .. تقدّم يا ليساندر .. غير أن هذا الرجل يا سيدى
الدوق قد فتنّ بالسحر قلب ابنتى .. نعم أنت ، أنت يا ليساندر ،
أعطيتها قصائد الشعر ، وبادلتها هدايا المحبة ، وتسلسلت إلى نافذتها فى
ضوء القمر لتغنى - وقد غيّرت من صوتك - أغنيات تدعى فيها أنك
تحبّها ، وغرّرت بها لتسلب حبها عن طريق إهدائك إياها خصلات من
شعرى ، وأقراطاً ، وهدايا لا قيمة لها ، وعطايا لا جدوى منها ، وأشياء
صغيرة وتفاهات ، وباقات زهر وحلوى ، وغير ذلك مما يؤثر تأثيراً قوياً
فى الشباب الغرّ الذى لم تحنكه التجارب ، فسلبت بمكرك قلب ابنتى ،
فإذا بواجب الطاعة الذى تدّين به لى وقد تحوّل إلى تصلّب وعناد .. فإن
هى أبّت هنا - وفى حضرتك يا سيدى الدوق - أن تقبل الزواج من
ديميتريوس ، فاسمح لى أن أتمسك بحقى وفق التقاليد الأثينية
القديمة ، وباعتبارها ملكاً لى ، فى أن أنصرف فى شخصها كما يحلو لى .
فإذا أن تقبل هذا السيد ، أو فليكن الموت جزءاً مما يقضى قانوننا
المتعلّق بمثل هذه الحالة .

ثيسبيوس : ما قولك يا هيرميا ؟ إستعنى إلى نصحى أيتها الفتاة الجميلة ، وليكن

(١) كان ثيسبيوس قد حارب الأمازونات ، وهزمهن ، وسعى ملكتهن هيبوليتا فى الحرب

أبوك بمثابة إله لك . فإليه يرجع الفضل فيها تتمتعين به من مفاتن .
نعم . وما أنت إلا كقالب من الشمع قد طبعه بطابعه ، ومن حقه أن
يحفظ هذا القالب كما هو أو أن يمسخه بإرادته .. ثم إن ديميتريوس
سيد جدير بك .

هيرميا : وكذا ليساندر .

ثيسبيوس : نعم ، هو جدير بك فى حدّ ذاته . غير أن افتقاره إلى رضا والدك يجعل
الآخر أكثر جدارة .

هيرميا : كم كنت أتمنى أن ينظر أبى إليه بعينى .

ثيسبيوس : بل كان الواجب أن تهتدى عينك برأيه .

هيرميا : صفها ومغفرة يا مولاي .. إننى لا أدرى أى قوة تلك التى تمّدى بهذه
الجرأة ، ولا كيف سيؤثر فى سمعتى تعبيرى عن رأى فى حضرة
كحضرتك . غير أنى أتوسل إلى مولاي أن يُعلمنى بالمصير الذى
يتهدّدنى فى هذه الحالة ، إن أنا أبّيت الزواج من ديميتريوس .

ثيسبيوس : إما الموت أو اعتزال الناس إلى الأبد .. لذا فإنى أدعوك أى هيرميا الحسناء
أن تعيدى النظر فى رغائبك ، وأن تقدرى صغر سنك ، وأن تكبّحى
جهاش نزوتك ، وأن تفكرى جيداً فيما إذا كان بوسعك - متى أبّيت
الانصياع لرغبة والدك - أن تحتملى زنى الرهايات ، وأن تحبّى إلى الأبد
سجينة فى دير مظلم ، وتظلى عقيمة طيلة عمرىك تصلّين لإلهة القمر
العقيمة الباردة .. صحيح أن الآلهة تبارك أولئك اللواتى يُمكنن بقوة
بعنان رغباتهن ، حتى يلتزمن بالعفة طيلة مسار حياتهن . غير أن تقطير
الورود يضمن فى هذه الحياة الدنيا سعادة أوفر من تلك التى ستكون من
نصيب من اختارت حياة العزوبة ، فتنمو وتعيش وتموت معلقة على
أشواك العذرية وقد ذبلت نضارتها .

هيرميا : إننى لأفضّل يا مولاي أن أنمو وأعيش وأموت على هذا النحو الذى
ذكرت ، على أن أسلم عُذرتى لهذا السيد الذى تأبى روحى أن أسلم له
قيادها وترفضه .

ثيسوس : بل فكرى فى الأمر بضعة أيام . حتى إذا ما هلّ هلال الشهر الجديد ، وحلّ يوم توثيق عهد المودة الأبدى بينى وبين من ملكت فؤادى ، كان عليك إما قبول عقوبة الموت لعصيانك أمر أليك ، أو قبول ديميتريوس زوجا لك كما قضت إرادته ، أو أداء القسم عند محراب الإلهة ديانا بالتزام التقشف وحياة العزوبة إلى أبد الأبدن .

ديميتريوس : لتراجعى ، أى هيرميا الرقيقة عن موقفك ، ولتهجر ، أى ليساندر مطالبتك الحمقاء بما هو حق أكيدى .

ليساندر : ما فى جعبتك يا ديميتريوس غير حب أبيها لك . أما عنى فأملك محبتها . فلتزوج إذن من أبيها !

إيجيوس : أتسخر يا ليساندر ؟ صحيح أنه يتمتع بمحبتى . غير أن محبتى ستغدق عليه ما أملكه . وإذ هى فى عداد ملكى ، فإنى أحبه كل حق لى عليها .

ليساندر : إننى يا مولائى من عائلة كريمة كعائلته ، ومكانتى فى المجتمع لا تقل عن مكانته ، وحبنى لهيرميا أقوى من حبه لها ، وثورتي تعادل ثروته إن لم تكن تفوقها . غير أن الأهم من كل هذه المزايا التى يتفاخر الناس بها ، هو أن هيرميا الجميلة تحبنى . فلماذا أطالب إذن بالتوقف عن المطالبة بحقى ؟ ثم إنى سأقوفا هنا صراحة وأمام ديميتريوس ، أنه غرّر بآبنة نيدار ، وتُدعى هيلينا ، وأقنعها بأنه يحبها فوقع فى غرامه . وهى الفتاة الطيبة لأن تهيم بهذا الفتى المتقلب الذى لا يمكن الوثوق به ، وتعشقه بل وتعبد له لو كان لها .

ثيسوس : أعترف بأنى سمعت شيئا من هذا القبيل ، وكان فى نيتى أن أحادث ديميتريوس فى هذا الشأن ، لولا أنى انشغلت انشغالا كاملا بأمورى الشخصية فنسيت الأمر . . ولكن ، تعال معى يا ديميتريوس ، وأنت يا إيجيوس ، فلدى نصيحة خاصة لكل منكما . أما أنت أى هيرميا الحسنة ، فخير لك أن تُكَيِّمى رغباتك فى ضوء مشيئة والدك ، حتى لا يلفظك قانون أثينا الذى لا نملك أن نغفّره ، فَيُقَضِّى عليك إما

بالموت أو بالتزام حياة العزوبة . . . هيا يا هيبوليتا . ما هذا الوجوم الذى طرأ عليك يا حبيبتي ؟ وهيا يا ديميتريوس وإيجيوس ، فثمة مهمة تتعلق بمرئنا أنوى إستادها إلكيا ، كما أنى سأحاذركما فى أمر يتعلّق بكما . .

إيجيوس : نتبعك يا مولائى سامعين مطيعين

(يخرج الجميع عدا ليساندر وهيرميا)

ليساندر : ما الخبر يا حبيبتي ؟ ما لوجهك قد شحّب وذبلت الورود فى خديك بهذه السرعة ؟

هيرميا : ربما لندرة المطر ، رغم استطاعتى أن أعرض عنه بغزارة ما ينهمر من عينى من الدموع .

ليساندر : واحرّ قلباه ! ما قرأت من شيء ولا سمعت من القصص والتاريخ إلا فهمت منه أن طريق الحب الحقيقى هو دوما محفوف بالمصاعب والأشواك . . فثمة إما تفاوت المكانة الاجتماعية بين الحبيبين

هيرميا : ما أضخمها من عقبة تحول دون وُصْل المغمورين !

ليساندر : أو تفاوت كبير فى السن بينهما

هيرميا : ما أكبرها من عقبة تحول دون وصل الشباب !

ليساندر : أو أن الأمر والاختيار فى يد الأصدقاء

هيرميا : ما أبشعها من عقبة ترك أمر اختيار الحبيب لأعين الآخرين !

ليساندر : أو حتى إن توقّرت المحبة والكفاءة ، فكثيرا ما كان الحب مهّدا بنشوب الحرب ، أو حلول الموت ، أو وفود المرض ، مما يجعله مؤقتا كالصوت ، عابرا كالخيال ، قصيرا كالخلم ، خاطفا كالبرق فى الليلة الظلماء . . إن شهد نوبة غضب اهتزت لها السواوات والأرض ، فإذا بفكّنى الظلمة وقد ابتلعها من قبل أن يكون بوسع لسان المرء أن ينبس بكلمة . . بمثل هذه السرعة إذن تتبدّد الأشياء الجميلة الساطعة فى حياتنا .

هيرميا : إن كان طريق الحب الحقيقي هو دوما مخفوف بالمصاعب والأشواق ، فلا بد أن هذا هو قدره المكتوب . . وعلينا إذن أن نتسلح في محنتنا بالصبر، ناظرين إلى المصاعب باعتبارها أمرا طبعيا مألوفًا في الحب ، شأن الأفكار والأحلام والتنهيدات والرغبات والدموع وغيرها من توابع الهوى المسكين .

ليساندر : كلام منطوق ومعقول . فاستمعي إلى إذن يا هيرميا . . لي عمّة أرملة عجوز، واسعة الثراء ، لا أولاد لها . فأما بيتها فعلى بُعد سبعة فراسخ من أثينا . . وهى تعتزنى بمثابة ابنتها الوحيد . . هناك ، أى هيرميا الرقيقة ، يوسعنا أن نعقد زواجنا . فالمكان يخرج عن نطاق القانون الأثينى الصارم ويجال تنفيذه . فإن كنت تحببى فلنتسلل من دار أبيك غداً في الليل ، وسأكون في انتظارك في الغابة التى تقع على بعد فرسخ واحد من المدينة ، في المكان الذى قابلتك فيه مع هيلينا من قبل للاحتفال بعيد مايو .

هيرميا : أقسم لك ، أى ليساندر الرقيق ، بأقوى قوريس يمتلكه كيويده ، وبأفضل سهامه مذهبة الرؤوس ، وبرائة حمائم فينوس ، وبكل ما يقرب بين العاشقين ويبارك حبيهم ، وبالنار التى التهمت ملكة قرطاجنة وقد ألفت فيها بنفسها حين هجرها الطرّادى الخائن محرراً بسفينته ، وبكل عهود الهوى التى يحنث دوما بها الرجال ، والتى تفوق في عددها عدد ما تقطعه النساء على أنفسهن من عهود ، أقسم بكل هذا أنى سأقابلك غداً في ذلك المكان الذى ذكرته لي .

ليساندر : فلتوفى إذن بوعدك يا حبيبتي . . انظري ! ها هى ذى هيلينا قد أقبلت .

(تدخل هيلينا)

هيرميا : تخية لك أى هيلينا الحسنة . إلى أين تمضين ؟

هيلينا : تصفينى بالحسنة ؟ تراجعى عن وصفك هذا ، فالحسنة التى يعشقها ديميتريوس هى أنت . ألا ما أسعدك من امرأة حسنة ! عيناك كنجمي القطب ، ونغم صوتك أجمل وقعاً من نغم القبرة في مسمع الراعى وقت

اخضرار سنابل القمح وظهور البزاعم . . ألا ليت للعلامع عدوى كعدوى المرض ، حتى تنتقل إلى الآن عدوى ملاحك يا هيرميا الحسنة ! حينئذ تنصّب أذنأى صوتك ، وينتقل إلى عيني جمال عينيك ، وإلى لسانى أنغام صوتك العذب . . ألا لو كانت الدنيا بأسرها ملكاً لي ، لأعطيها لك مقابل قلب ديميتريوس ! علمينى إذن كيف أبدو وأظهر . علمينى ذلك الفن الذى مكّنك من التحكم في خلجات قلب ديميتريوس .

هيرميا : أعبس في وجهه فيظل صامداً في حبه .

هيلينا : ما أحرى ابتساماتى أن تتعلم هذا الفن من عبوسك !

هيرميا : أغمره بلعناتى فيغمرنى بحبه .

هيلينا : ألا ليت لتوسلاتى نفس تأثير لعناتك !

هيرميا : كلما زادت كراهيتى له زاد تعلقه بى .

هيلينا : وكلما زاد حبه لى زادت كراهيته لى .

هيرميا : غير أنى لست مسئولة يا هيلينا عن حماقته ، ولا هى عن خطأ منى .

هيلينا : جالك وحده هو المسئول ، ولبت الخطأ كان منى .

هيرميا : هذنى من روعك . فهو لن يرى وجهى بعد اليوم . لقد اعترضت أنا

وليساندر أن نهرب من المدينة . . لقد كانت أثينا تبدو كالجنة في عيني

قبل أن تقع عيني على ليساندر . فأية قوة تلك التى تكمن في هوى إذ

تحول الجنة إلى جحيم ؟!

ليساندر : سنكشف لك يا هيلينا سرّاً . فغداً عند المساء ، حين ترى الشمس

خياها الفضى في مرآة الماء ، وحين تسكب على الحشائش طبقة من سائل

اللولؤ ، وحين يخفى الظلام آثار العشاق الهاربين ، قد قرّر عزمنا على أن

نتسلل خارجين من أبواب أثينا .

هيرميا : وسألتقى بحبيبى ليساندر في الغابة . . تلك الغابة التى كثيرا ما كنت أنا

وأنت نرقد فيها على فراش من الورود لنفرغ مكنون صدرينا ويكشف كل

المشهد الثاني

منزل كوينس في أثينا

(يدخل عدد من العمال : كوينس ، وشَنج ، وبوتوم ، وفلوت ،
وشناؤوت وستار فلينج)

كوينس : هل اكتمل عددُنا ؟

بوتوم : الأفضل أن تنادي عليهم مجتمعين^(١) ، فردًا فردًا ، وفق القائمة .

كوينس : هذه قائمة بأسماء جميع الرجال الذين اعتبرتهم أثينا بأسرها صالحين
للممثيل في مسرحيتنا القصيرة التي سنعرضها أمام الدوق والدوقة ليلة
حفل زفافهما .

بوتوم : أذكر أولًا يا عزيزي كوينس شيئًا عن موضوع المسرحية ، ثم اقرأ علينا
أسماء الممثلين حتى نصل إلى نتيجة .

كوينس : نعم . . فأما مسرحيتنا فهي الكوميديا المأساوية المتعلقة بالنهاية المفجعة
لبيراموس وثيسبي .

بوتوم : أؤكد لكم أنها مسرحية ممتازة ومضحكة للغاية . والآن يا عزيزي بيتر

(١) يقصد : فرادى . وهذا هو المثل الأول من عدة أمثلة لإساءة بوتوم استعمال الألفاظ في هذه
المسرحية .

منا للآخر عن أسرار قلبه . . عندئذ سنصرف أعيننا عن أثينا ، باحثين
عن أصدقاء جُدد ، وجماعات غريبة عنا . . وداعًا إذن يا رفيقة الصبا ،
وصلّي من أجلنا ، وعسى أن يمكّنك الحظ السعيد من أن تظفري
بديميتريوس . . أما أنت يا ليساندر فلا تنس الموعد ، وعلينا أن نحول
بين أعيننا وبين طعام المحبين حتى نلتقي في منتصف ليلة الغد .
(يخرج)

ليساندر : سأفعل يا هيرميا . . ووداعًا يا هيلينا . وعسى أن يكون افتتاح ديميتريوس
بك في قدر افتتاحك به .

(يخرج)

هيلينا : ما أعظم التفاوت بين الناس في قدر سعادتهم ! إن أهل أثينا يرونني في
مثل جمال هيرميا . فهل أفادني ذلك وديميتريوس لا يرى ما يرون ، ولا
يعلم ما يعلمه الكافة إلّا ؟ إنه يخطئ إذ أراء مفتونا بعينيهما ، وأنا
أخطئ إذ يراني الناس مفتونة بصفاته . . لا شك أن بمقدور الحب أن
يجعل من الأشياء الخاوية التافهة ضئيلة القيمة ، أشياء ثمينة ذات بهاء
ورونق . فالحب لا ينظر بالعين بل بالفؤاد ، ولذا صوّر الناس كيوييد
المتجنّع أعمى معصوب العينين . كذلك فإن العقل في الحب ينقصه
سداد الرأي ، وما معنى الجناحين مع فقدان البصر إلا التسرع الأهووج .
وما وُصِف الحب بأنه طفل إلا لأنه كالطفل خدوع في اختباره . وكما أن
الصبيبة الأوغاد يكذبون في لهوهم ، فكذا يقرن الحب بالكذب في كل
مكان . . لقد كان من دأب ديميتريوس قبل أن يرى هيرميا أن يمحطري
بالعهود والوعد مقسبًا أنه لا يجب سوى . . فما التقى ذلك المطر بالحرارة
التي يشتها فيه هيرميا ، حتى تبخّر في الهواء . . سامضى فأخبره بما تعزّمه
هيرميا الجميلة من فرار . ولا شك في أنه سيهوج في أثرها إلى الغاية ليلة
الغد . فإن شكرني على إخباري إياه ، فسأساعد بشكره رغم برودته
وجفافه وقلة جدواه . ويكفيّني أنى سأنعم برؤيته ، طوال رحلته إلى
الغاية ورحلة عودته .

(يخرج)

كوينس عليك بالنداء على الممثلين وفق القائمة . . أرجوكم ألا تزدهوا حوله .

كوينس : وليجبني كل من أنادى على اسمه . . . نيك بوتوم السّاح !

بوتوم : موجود ! أخبرني أى دور سألعبه ثم ناد على بقية الأسماء .

كوينس : قد وقع الاختيار عليك يا نيك بوتوم لتمثيل دور بيراموس .

بوتوم : ومن هو بيراموس هذا ؟ عاشق أم طاغية ؟

كوينس : عاشق يقتل نفسه ، عظيم اللباقة في عشق النساء .

بوتوم : يعنى هذا أن الدموع ستسيل من العين متى أُجيد التمثيل . فإن أنا مثلت الدور فليحرص المتفرجون على أعينهم ، حيث أنى أعزم إثارة عاصفة من البكاء بإظهار لوعتى في الغرام . غير أنى في الواقع كنت أفضل أن أمثل دور طاغية . . فالمؤكد أنى سأجيد دور هرقل (١) ، أو أى دور يتيح لى فرصة أن أصول وأن أجول وأن أصرخ وأن أهتف حتى يهتز البنبان ويتصدّع :

الصخور الغاضبات

والضربات القاصبات

ستكسر الأقفال

وتحرّر الرجال

وسيسطع من بعيد

كوينا السعيد

فيعامل بازدراء

أقدارنا الحمقاء

ما رأيكم في هذه البلاغة ؟ والآن نادِ على بقية الأسماء . . . إنها البلاغة

(١) يعنى هرقل بطل الأسطورة الإغريقية وأقوى الرجال .

الخليقة بهرقل ، الخليقة بطاغية . أما دور العاشق فدور أكثر رقة ونعومة .

كوينس : فرانسيس فلوت ، مصلح المنافع .

فلوت : موجود يا بيتر كوينس .

كوينس : أما أنت يا فلوت فستلعب دور ثيسى .

فلوت : ومن هو ثيسى هذا ؟ فارس متجول ؟

كوينس : هى السيدة التى سيقع بيراموس في غرامها .

فلوت : أرجو ألا تسند إلى دورًا نسائيًا ، فلحيتى قد بدأت تنمو .

كوينس : لا بأس في هذا فإنك ستتردى قناعًا أثناء التمثيل . . . ولكن عليك أن ترقّق من صوتك قدر الإمكان .

بوتوم : ما دمنا سنلبس أقنعة فلا لعب أنا دور ثيسى أيضًا . سأتكلم بصوت رقيق أجش : « آه يا ثيسيتى ، يا ثيسيتى ! » ، « آواه يا بيراموس يا حبيبى . تعال إلى ثيسيتى حبيبتك وملكة فؤادك ! »

كوينس : لا ، لا . ستلعب أنت دور بيراموس ، وسيلعب فلوت دور ثيسى .

بوتوم : حسنا إذن . . استمر .

كوينس : رويين ستار فلينج الخياط .

سترافلينج : موجود يا بيتر كوينس .

كوينس : ستلعب يا ستار فلينج دور والده ثيسى . . . توم شناوت السمكرى .

شناوت : موجود يا بيتر كوينس .

كوينس : ستلعب أنت دور والد بيراموس . وسألعب أنا دور والد ثيسى . ويلعب شنجّ التجار دور الأسد . وبهذا على ما أمل ، يكتمل بناء المسرحية .

شنجّ : هل دور الأسد مكتوب ؟ إن كان مكتوبًا فأعطني إياه الآن ، فأنا بطيء في الحفظ .

كوينس : يمكنك أن ترتجل الدور ، فهو مجرد زئير .

بوتوم : إسمع لي أن ألعب أيضًا دور الأسد . سأزأر فيطرب الجمهور لزئيري . .
سأزأر حتى يصبح الدوق : « دعوه يزأر مرة أخرى . دعوه يزأر مرة أخرى ! »

كوينس : ولكنك ستجعل زئيرك مرعبًا فتخيف به الدوقة وسائر السيدات ،
فيصرخن صراخًا هو كفيل بأن يقودنا جميعًا إلى جبل المشقة .

الجميع : سيتسبب في شفتنا أجمعين .

بوتوم : معكم الحق أيها الأصدقاء . فلو أننا أطرنا صواب السيدات ، لم يبق في
رءوسهن عقل يحول بينهن وبين الأمر بشفتنا . غير أنني سأغتر من صوتي
بدرجة رهيبية ، فأجعل زئيري رقيقًا كهديل الحمام ، أو كزئير أئى بلبل من
البلابل .

كوينس : لن تلعب دورًا غير دور بيراموس . ودعني أطمئنك إلى أن بيراموس هذا
رجل وسيم الوجه ، كامل الأوصاف كأي من الرجال الذين نراهم في يوم
من أيام الصيف ، وسيّد رائع من كافة الوجوه . ولهذا فإن عليك القيام
بدور بيراموس .

بوتوم : حسنا ، سأقوم به إذن . . فأية لحية تليق بهذا الدور ؟

كوينس : أيّة لحية تختارها .

بوتوم : سأؤدى الدور في لحية من اللحي في خزنك يكون لونها إما كلون القش ،
أو لون البرتقال ، أو لون الأرجوان الثابت ، أو لون العملة الفرنسية
الذهبية الصفراء .

كوينس : بعض هذه العملات الفرنسية التي تتحدث عنها لا شعر لها على
الإطلاق^(١) ، وبالتالي ستقوم بدورك وأنت حليق الوجه ! . . ولكن ،
ها هي أدواركم أيها السادة . . وإنى لأناشدكم ، وأرجوكم ، وأطالبيكم

بأن تحفظوها قبل مساء الغد ، وأن تقابلوني في غابة القصر التي هي على
مسافة ميل خارج المدينة ، عند بزوغ القمر ، وهناك تتمرن على أداء
المسرحية . ذلك أننا لو التقينا في المدينة فسيجتمع الناس حولنا
للمشاهدة ويكتشفون خططنا . . وحتى ذلك الحين سأقوم بإعداد قائمة
بها تحتاجه المسرحية من ملابس ومناظر . . أرجوكم ألا تخلفوا الموعد .

بوتوم : بل سنلتقى ، وستتمرن في جرة وفي خيفة عن الأنظار^(١) . فابدلوا في
حفظ الأدوار الجهد الخلق بطلب الكمال . . وداعا .

كوينس : عند شجرة بلوط الدوق نلتقى .

بوتوم : كفانا هذا . والعار لمن أخلف الموعد .

(يخرجون)

(١) يقصد : « خفية عن الأنظار » .

(١) يعنى أن داء الزئرى (ويسمى أيضًا بالداء الفرنسى) يتسبب في سقوط الشعر .

الفصل الثانى

الفصل الثانی

المشهد الأول

غابة قرب أثينا

(تدخل جنیة من جانب ، وبك من جانب آخر)

بك : أراك أيتها الجنیة تجولين . فإلى أين ؟

الجنیة : فوق الجبال أجول وفوق الوديان

وعبر الأدغال وعبر الأشجار

وفوق الحدائق وفوق المزارع

وعبر النيران وعبر الأنهار

أجول وأجول في كل مكان

بأسرع مما يجول القمر في السماء

في خدمة ملكة الجنیات الحسناء

لأنثر الطلّ فوق الحشائش الخضراء

فأما السيقان الطويلة لزهر الربيع

فجنود الملكة . وأما ما فيها من بقع حراء

فشازات تحملها معاطف الجند الصفراء

إنها الباقوت الذي تُععم به الجنیات

ومنها ينبعث شذى النباتات

سأمضى فأبحث هنا عن بعض هذه السيقان

وأعلق لؤلؤة في أذن كل منها فتردان
وداعا فإنى ذاهية أيها الأحقر الكسلان
واعلم أن الملكة وكافة الجن سيكونون هنا بعد ثوان .

بك : سيقم الملك هنا احتفالاً هذا المساء ،

فلتحذر الملكة من أن يكون بينها لقاء .

فأويرون ناثر غاضب أشد الغضب

لأنها سرقت من أحد ملوك الهند صبيبا جميلاً له ،

لتجعله تابعا من أتباعها . إنه أجل صبي سرقة .

وأويرون الغيور يريده ليجعله من حرسه الخاص ،

ليجول له في الغابات والأحراش .

غير أنها تتمسك بالغلام ،

وتزين له رأسه بأكاليل من الزهر ،

حتى بات مصدر كل متعة لها .

والآن فإن الملكة والملك لا يلتقيان في بستان أو حقل ،

أو عند نافورة صافية تتلألأ فيها صورة نجوم الليل ،

إلا تجادلا وتشاجرا ، حتى لقد بدأ كافة أتباعها من الجن

يتسللون من خوفهم داخل جوز البلوط ليختبئوا فيها .

الجنية : إما أنى قد أخطأت تماما في التعرف على شخصك ومظهرك ،

أو أنك في الحقيقة ذلك الجنى الحبيث الماكر

الذى يدعونه روبين جودفيلو .

ألست أنت الذى يدأب على إثارة الرعب في بنات القرى ،

ويسرق من الحليب قشدته ،

ويندس أحيانا في المطاحن اليدوية ليعطل عملها ،

فيذهب جهد ربات البيوت اللاهثات هباء ؟

ألست أنت الذى تفسد الخميرة في الجعة ،

وتضلّل شراة الليل ثم تضحك إذ جعلتهم يضلّون الطريق ؟

أما أولئك الذى يعتونك بالجنى الظريف ، أو بك اللطيف ،

فتساعدهم على أداء أعمالهم وتحلب الحظ لهم .

ألست أنت هو ؟

بك : هذا صحيح . فانا الهائم المرح أثناء الليل ،

أمازح أويرون وأجعله يتسم ،

حين أخدع الحصان السمين الذى يتغذى على البقول ،

وأقلد صوت مُمهرته فيحسبني هي .

وأحيانا أدس بنفسي في شراب إمراة عجوز ،

متخذًا صورة سرطان مشوى ،

حتى إذا ما شربت من كأسها قفزت إلى شفثيها

فأريق النبيذ على لُعدها المتهدّل .

وأحيانا تريد العجوز أن تجلس لتقص على الجمع قصة حزينة ،

فتصوّرني مقعدًا ذا أرجل ثلاثة ،

حتى إذا ما تهيأت للجلوس ترحضت عن عجيزتها ،

فتهوى على الأرض صارخة « الحقونى ! » وتبدأ في الشعال .

حينئذ ينفجر الجمع كله بالضحك وقد أمسكوا بجنوبهم ،

ويزداد مرحهم فيعطسون ويقسمون أنهم ما قضوا في حياتهم ساعة

أكثر مرحًا من تلك الساعة .

ولكن لتفسى الطريق أيتها الجنية ، فها هو أويرون قد أقبل .

الجنية : وها هي مولاتي قد أقبلت . ليت ما جاء !

(يدخل أويرون وأتباعه من جانب ، وتيتانيا وأتباعها من جانب آخر)

أويرون : من سوء حظى أن أقابلك في ضوء القمر ، أى تيتانيا المتغطرة !

تيتانيا : أهذا أنت يا أوبيرون الغيور ؟ لننصرف من هنا أيتها الجنيات . فقد هجرْتُ فراشه وقاطعتُ صحبته .

أوبيرون : بل إبقى في مكانك أيتها المرأة العنيدة . ألسْتُ زوجك ؟

تيتانيا : لو كان ذلك لكُنْتُ إذن زوجتك ! غير أنى أعلم جيداً أنك حين تسلمت من عالم الجن في صورة الراعى كورين ، كنت تقضى أياماً بطولها تعزف على ناي من بوص ، منشداً ألحان الغرام لمعشوقتك فيليدا (١) . . ولماذا عدت إلى هنا قادماً من أقصى سهول الهند ؟ تريدنى أن أخبرك ؟ لأن الأمازونة المثوبة ، عشيقتك التى ترتدى حذاء القمص ، وتحارب وتقاتل ، هى الآن على وشك الزواج من ثيسبيوس ، وأنت أنت لتبارك فراشها وتدعو لها بالرفاء والبنين .

أوبيرون : عار عليك يا تيتانيا ! كيف تخزوين على تشويه علاقتي ببيوليتا وأنت تعلمين جيداً أنى على علم بحبك لثيسبيوس ؟ ألم تمهدى له سبيل الحرب ليلاً من بيريجينيا التى اغتصبها ، وسبيل إخلاف وعوده لإيجيلس الحسنة ، ولأريادنا وأنتيوبيا (٢) ؟

تيتانيا : كلها أكاذيب لفَقَّتها غيرُك . . وما من مرة واحدة منذ بداية منتصف الصيف لإجتمع فيها الجن على تل أو في وادٍ أو غابة أو مرج ، عند نافورة حجرية أو مستنقع أو ساحل بحر ، لنرقص في حلقات على صوت عزف الرياح ، إلا عكَّرت أنت صفو بهجتنا بشجارناك . . ولهذا فإن الرياح وقد رأت أن عزفنا لقد أصبح دون جدوى ، سعت إلى الانتقام بأن امتصَّت من البحر سحاباتٍ يملؤها الأمراض وأطلقتها على الأرض ، فامتلات بهائنا الأنهار بل والجداول الصغيرة وفاضت مياهها على الشُّطَّان . . فإذا بالثور يحاول عبثاً أن يجرَّ المحراث ، وإذا القائم بالحِث وقد ضاعت جهوده شدي ، وإذا سنابل القمح الخضراء تذبل قبل

(١) كورين وفيليدا : عاشقان من الرعاة في الأساطير الإغريقية .

(٢) بيريجينيا وإيجيلس وأريادنا وأنتيوبيا : نساء تحدث بلوتارك في « السَّير » عن علاقة ثيسبيوس بهن .

تُصَبِّحها ، وتذوى قبل أن تنبت لشبابها لحية . . الحقول الغارقة في الماء قد دخلت من قُطعان الماشية ، والغربان قد سمنت بأكلها اللحم المريض من أجسام الخراف الميتة ، والملاعب قد غمرتها الأرحال ، والممرات المتعرجة عبر الحقول الخضراء قد إختفت وإندثرت باختفاء المارين فيها (١) .

الآدميون يتطلعون عبثاً إلى قدوم الشتاء . وقد دفعهم اليأس إلى التخلّى عن استقبال المساء بإشاد الأغاني والترانيل ، وهو ما أغضب القمر الذى يتحكّم في الفيضان ، فإذا بوجهه وقد شحب ، وإذا هو يطلق المزيد من الأمطار التى تسببت في انتشار الإصابات بالبرد والسُّعال . وقد أدّى هذا الطقس المتقلب إلى اضطراب نظام الفصول ، فإذا الورد القرمزى وقد كسى الصقيع أوراقه الناضرة ، وإذا جبين الشتاء البارد الأجرد وقد كللته باقة عطرة من ورد الصيف الجميل ، وكأنها من قبيل السخرية بفصول السنة . وها نحن نشهد تبادلاً بين فصول الربيع والصيف والخريف الغنى بالثمار والشتاء الغاضب في سאתها المعهودة ، حتى ما عاد البشر المذهولون بقاديرين على التمييز بينها . وكل هذه الفوضى والشور إنما ترجع إلى تشاحتنا ونزاعنا . فنحن الأصل فيها إذن ونحن مصدرها .

أوبيرون : لتُصلحى الأمر الإذن ، فهو في وسعك . فما الداعى إلى منازعة تيتانيا لأوبيرون ؟ ما أريد منك غير صبي مسروق ليكون حاجباً لى .

تيتانيا : ليطمئن فؤادك إلى أنى لن أخجل عن هذا الصبى ولا في مقابل عالم الجن بأسره . . لقد كانت أمه من مُريدات طريقي ، وكثيراً ما جلسنا سوياً في الهند بالليل ، نتمتع بالهواء العَطَر ، ونتجاذب أطراف الحديث ، وعلى الرمال الصفراء لشاطئ البحر ، نراقب التجار على السفن التى تمخر

(١) في كل هذا الحديث إشارة إلى المتاعب والخسائر التى واجهها الإنجليز من جراء سوء الأحوال الجوية عام ١٥٩٤ ، وهو العام الذى يجتمل أن يكون شكسبير قد كتب فيه هذه المسرحية .

عباب الماء، ونضحك حين نرى أشرعتها كالمرأة الحامل قد انتفخ بطنها بمعا شربتها الريح العابتة. وقد كانت في ذلك الوقت تحمل في رحمها الغلام الذى تحدث عنه، فكانت تسير على الرمال تقلد بمشيتها الرشيقية حركة السفينة العائمة، وتأتى لى هدايا صغيرة ثم تعود إلى التجول، تماما كالسفن التى تعود بعد كل رحلة ببضائع ثمينة غير أنها للأسف، وهى غير المخلدة، ماتت وهى تلد ابنها، فأليت على نفسى أن أنهض بترية الغلام ورعايته من أجل أمه، وآليت على نفسى ألا أتخلى عنه.

أوبيرون : وكم تنوين البقاء في هذه الغاية ؟

تيتانيا : ربما بقيت فيها إلى ما بعد يوم زفاف ثيسبوس . فإن كان لديك من الصبر والعزم على الاشتراك في رقصنا ومشاهدة احتفالنا في ضوء القمر، فهذا معنا . وإلا فلنتجنبى وسأتحب بدورى أماكن تواجدك .

أوبيرون : أعطنى الغلام وسأمضى معك .

تيتانيا : لا ولو وضعت في يمينى عالم الجن بأسره . لنمض أيتها الجنيات . . فلا شك في أن خلاقي معه سيخدم لو أنى أطلت البقاء لبضع لحظات .

(تخرج تيتانيا وأتباعها)

أوبيرون : إذهبى إذن في سبيلك . . غير أنك لن تتركى هذه الأبكة قبل أن أنتقم من إهانتك لإيى هلم لى يا صديقى بك . . . أتذكر يوماً جلست فيه على جبل يمتد إلى البحر، وسمعت حورية الماء الجالسة على ظهر الدلفين تغنى أغنية رقيقة عذبة، حتى لقد هدأت الأمواج الصاخبة بتأثير غنائها، وتهاوت بعض النجوم من مدارها بسرعة إليها لتسمع إنشادها ؟

بك : أذكر ذلك .

أوبيرون : رأيت يوماً كيوييد (وإن لم تتمكن أنت من رؤيته) يطير بسلاحه بين

الأرض والقمر البارد، ويصوب سهمه صوب عذراء جميلة (١) تعلى عرشاً من عروش الغرب، ويطلق في رشاقة من قوسه سهم الغرام، وكأنها يهدف إلى إختراق مائة ألف من قلوب البشر . . غير أن سهم الغلام كيوييد انطفأت ناره في أشعة القمر الطاهرة (٢)، فتمكنت الملكة التى نذرت نفسها لحياة العزوبة من أن تمضى قدماً، غارقة في تأملات العذارى، وقد نجت من شرك الغرام .

غير أنى لاحظت وقتذاك أن سهم كيوييد وقع على زهرة صغيرة تنمو في الغرب، كانت من قبل بيضاء في لون الحليب، ثم أضحت أرجوانية بتأثير جراح الهوى . . العذارى يطلق عليها اسم « حُب الكسالى » . . إتى بتلك الزهرة التى أريتك إياها في الماضى . . إن عصاريتها متى وضعت على جفون النائمين تجعلهم (ذكوراً كانوا أو إناثاً) يهيمنون بحب أول كائن حى يرونه عند إستيقاظهم . . أحضر لى هذه الزهرة، وعُد لى بها بأسرع مما يقطع الحوت به فرسخاً في الماء .

بك : بوسعى أن أدور حول الأرض في أربعين دقيقة (٣) .
(يخرج)

أوبيرون : حتى إذا ما حصلت على عصارة تلك الزهرة، فسأنتظر فرصة رقاد تيتانيا للنوم، فأضع قطرات منها في عينيها . . فإن هى إستيقظت ونظرت حولها فستقع في غرام أول كائن تراه، سواء كان أسداً، أو دباً، أو ذئباً أو ثوراً، أو قرذاً صغيراً متطفلاً، أو قرذاً كبيراً نشطاً، وتتبعه أينما ذهب . . إن بوسعى أن أزيل مفعول تلك العصارة باستخدام عصارة زهرة أخرى، غير أنى لن أزيله عن عينيها إلا بعد أن تتنازل لى عن

(١) يقصد الملكة إليزابيث الأولى التى رفضت كل عروض الزواج منها، ورفضت حياتها دونه . ومن المحتمل أن تكون الملكة قد حضرت أول عرض لهذه المسرحية .

(٢) إلهة القمر، ديانا، هى في نفس الوقت إلهة العقّة .

(٣) تمكن الإنسان من ذلك، ودون لجوء إلى السحر، بعد ثلاثمائة وسبعين عاماً من وقت كتابة المسرحية .

غلامها . . . ولكن ، من ذا القادم هنا ؟ إننى جئنى لا تدرکه الأبصار ،
وبوسعى أن أبقى وأسترق السمع إلى الحديث .
(يدخل ديميتريوس تتبعه هيلينا)

ديميتريوس : أرجوك ألا تتبعينى ، فانا لا أحبك . . أين ليساندر وهيرميا الحسنة ؟
فأما الأول فساقتله ، وأما الثانية فتقتلنى . . ذكرت لى أنها تسلا
هارين إلى هذه الغابة . . وها أنا ذا وقد أصابتنى جنة بهذه الجنة إذ قد
فشلت فى العثور على جيبتى هيرميا . . أتركينى وشأنى ولا تتبعينى .

هيلينا : إننا أنت كحجر المغناطيس الصلبد ، تجذبنى دوما إليك . غير أنك
لا تجذب الحديد ، فقلبى كالفولاذ فى صدق هواه . . تحل عن قدرتك
على اجتذابك لى ، وستتحل عنى القدرة على متابعتك .

ديميتريوس : هل أغريك ؟ هل أتودد إليك فى حديثى ؟ أم أنى أخبرك بأصرح
العبارات أنى لا أحبك ولا أستطيع أن أحبك ؟

هيلينا : غير أنك حتى بهذا تزيد من نار حبى لك التهايا . . إننى بمثابة كلية
لك ، كلما زدت ضربا لها يا ديميتريوس ، زاد تعلقها الذليل بك .
عاملنى إذن معاملتك لكليك : اركئنى ، اضربنى ، إهملنى ،
أضغنى ، ولكن لتأذن لى فقط ، رغم هواى شأنى ، أن أتبعك . .
فأتى تحل من قلبك هو أسوأ من ذلك الذى أنا شدة أن تحلنى فيه ،
وهو أن تعاملنى معاملتك لكليك ، وأنا مع ذلك راضية به كل الرضا .

ديميتريوس : لا تخاطرى بإثارة المزيد من كراهيتى لك ، فمجرد وقوع بصرى عليك
يؤلمنى .

هيلينا : أما أنا فيؤلمنى غيابك عن بصرى .

ديميتريوس : إنك إننا تعرضين سمعتك للضياح بمغادرتك المدينة ، ووضع نفسك
رهن إشارة رجل لا يحبك ، وتعرض شرفك الغالى لمخاطر الليل
والملك المهجور .

هيلينا : لا تخاطر تهذبنى مع رجل شريف ، ولا ليل فى عينى متى رأت وجهك
عينى . لهذا فانى لا أحسب أن الليل قد إكتفىنى ، ولا أحسب هذه
الغابة بعيدة عن الدنيا أو خالية من الناس ، لأنك الدنيا بأسرها فى
عينى وكل من أريده من الناس . فكيف يمكن إذن أن يقال إنى هنا
وحدى والدنيا بأسرها هنا تنظر لى ؟

ديميتريوس : سأعدو فراراً منك وأخفى نفسى فى الأحراش ، تاركاً إياك تحت رحمة
وحوش الغابة .

هيلينا : ما من وحش له قلب فى قساوة قلبك . . فلتمض هارباً متى شئت
حتى تنعكس الأدوار ، فإذا بأبو لوى هيرب ودافنى تعدو فى أثره ، وإذا
الحمامة تطارد النسر ، وإذا الأيل الوديع يعدو لإصطياد النمر . . فما
جدوى السرعة إذن متى هربت البسالة من مطاردة الجبن ؟

ديميتريوس : لن أبقى هنا لأستمع إلى أسئلتك . . دعينى أذهب ، وإلا فصديقى
حين أقول لك إنك لو مضيت فى أثرى فسألتق بك الأذى فى هذه
الغابة .

هيلينا : إنك تُلحق بى الأذى فى المعبد ، وفى المدينة ، وفى الحقل . . عار
عليك يا ديميتريوس ! إذلاً لك لى يجعلنى وصمة فى جبين النساء .
فالنساء لا يملكن ما يملكه الرجال من القدرة على الدخول فى معركة
من أجل الظفر بالمحجوب وتحقيق الآمال . تُلحقنا لكى يتودد الرجال
إلينا لا لكى نتودد إلى الرجال .

(يخرج ديميتريوس)

سأبتعك حتى أخلق جنةً من جحيم أباه ، بأن ألقى مصرعى على يد
امرئ أهواه .

(تخرج)

أوبيرون : إلى الملتقى أينها الفتاة . وأعدك بأنه قبل أن يرح هذه الأيكة وقبل طلوع
النهار ، سيكون هو المطارد لك وأنت اللاندة بالفرار . .

الفصل الثانى

(يدخل بك)

مرحبًا بالجوال .. هل أتيتنى بالزهرة ؟

بـك : ها هي ذى .

أويبرون : أعطنى إياها .. ثمة صَفَّةٌ جدول أعرفها بنبت فيها الزعرتر البرى والورود وزهر البنفسج الناعس ، وتظللها أشجار كثيفة غنية بالريح ، ونباتات المسك العطرة والنَّسرين .. هناك تنام تيتانيا بعض ساعات الليل مفترشة الأزهار وقد أنهكها الرقص واللهو .. وهناك أيضًا تطرح الثعابين عن أجسامها جلودها زاهية الألوان ، كل منها يكفى لصنع عباءة لجنَّة .. سأضع بضع قطرات من العصارة عينها ، فإذا هى وقد راودتها أبشع الأوهام ..

خذ أنت أيضًا بضع قطرات معك ، وابحث فى هذه الأيكة عن سيدة أثينية حسناء بهم بحب فتى يمقتها . ضع قطرات من العصارة على عينيه ، وتأكد من أن السيدة هى أول من يراه حين يستيقظ من نومه .. ستتعرف على الرجل من ثيابه الأثينية التى يرتديها .. ولكن لتحرص على أن يكون عند إستيقاظه أكثر هياما بها منها به . ثم فلتقابلنى قبل أول صباح للديكة .

بـك : ليطمنن قلب مولاي ، فسويؤدى خادمتك كلَّ ما أمرته به .

(يخرجان)

المشهد الثانى موقع آخر بالغابة (تدخل تيتانيا وأتباعها)

تيتانيا : والآن إلى رقصة دائرية وأغنية من أغانى الجن ، تؤدونها فى ثُلث دقيقة ثم تنصرفون ، البعض ليقول البرقات التى تتغذى على أوراق نبات المسك ، والبعض ليحارب الخفافيش من أجل الحصول على أجنتها الجلدية حتى تصنع منها المعاطف لصغار الجن ، والبعض ليرد عنا اليوم المزيج الذى يصوت بالليل ويراقب فى عجب هونا وتسليتنا .. غنوا لى الآن أغنية حتى أنام ، ثم فليمض كل إلى عمله بينما أنال قسطا من الراحة .

(الجنَّيات تغتنن)

الجنَّة الأولى : أيتها الثعابين مشقوقة اللسان ، أيتها الأفاعى الرقطاء ، وأنت أيتها الفنافذ الشائكة ، لا تظهري هذا المساء ، ويا سمندل الماء ، وأنت أيتها العظاية العمياء ، لا نريد منكنا شرًا أو فعلة خرقاء ، وإياكم جميعا أن تقربوا مليكة الجن الحسنة .

الجميع : اللابل تشاركنا فى الغناء
حتى تنام مليكتنا الحسنة :

نِنَّهُ هُوَ ، نِنَّهُ هُوَ ،

نِنَّهُ هُوَ ، نِنَّهُ هُوَ ،

لا ضرر ولا سحر ولا تعويذة

تفسد على مولانا نومتها اللذيذة

فانعمى إذن بليلة سعيدة

على أنغام هذه التَّهْوِيْدَة .

الجنينة الثانية : أيتها العناكب لا تنسجى شبائك هنا

ولا تقربى بأرجلك الطويلة مكاننا

وابتعدى أيتها الخنافس السوداء عن هذا الموقع

فنحن لا نريد أذى من حشرة أو قوقع .

الجميع : الבלابل تشاركتا في الغناء

حتى تنام مليكتنا الحسنة

نِنَّهُ هُوَ ، نِنَّهُ هُوَ ،

نِنَّهُ هُوَ ، نِنَّهُ هُوَ ،

لا ضرر ولا سحر ولا تعويذة

تفسد على مولانا نومتها اللذيذة

فانعمى إذن بليلة سعيدة

على أنغام هذه التَّهْوِيْدَة .

الجنينة الأولى : كل شيء على ما يرام ، فلنصرف الآن

ولتبقى إحدانا لحراسة المكان .

(تخرج الجنيتات وقد نامت تيتانيا)

(يدخل أوبيرون فيضع عصارة الزهرة على جفניה)

أوبيرون : أول ما تريته حين تستيقظين

ستهوينه وتعشقين

ومن لواجع حبه تتعذبين .

فسواء كان سنورا أو قطأ أو فهدا

أودُّبًا من الدببة أو قردًا

أو خنزيرًا برّيا خشن الشعر دميًا

فستريه وقت استيقاظك حبيبا وسيبا .

فلا تستيقظى إذن من نومتك

إلا وشىء بشع قُبالتك .

(يخرج)

(يدخل ليساندر وهيرميا)

ليساندر : لا شك يا حبيبتي أن التجوال بالغابة قد أنهك كواك . والحقيقة أنى قد

نسيت الطريق إلى المكان الذى نقصده . فلنسترح إن شئت يا هيرميا

بعض الوقت .

هيرميا : لنسترح إذن يا ليساندر . فلتبحث لنفسك عن فراش . أما عنى فسأرقد

على هذه الضفة هنا .

ليساندر : كومة من العشب تصلح وسادة واحدة لنا معا . . قلب واحد ، وفراش

واحد ، وصدرا ن بها حب حقيقى واحد .

هيرميا : أرجوك يا ليساندر ، من أجل يا حبيبى ، أن ترقد على مسافة منى ليست

بهذا القرب .

ليساندر : لا تشكى يا حبيبتي فى سلامة نواياى ، فما مبعثها إلا حبنا المتبادل .

وحين يتحدث المحبون ، فكل ما يقولونه يوجهه العشق مجراه . . وما

عينت إلا أننا وقد ارتبط قلبانا برباط الحب ، قد صار فى جوفينا قلب

واحد . صدرا ن قد ارتبطا بعهد واحد ، فهما إذن صدرا ن وحب حقيقى

واحد . فلا نحوى إذن بينى وبين الرقود إلى جوارك ، فالهنا ئجانبينى إن لم

أنم بجانبك .

هيرميا : جميلة تلك الألفاظ التى تأتى بها فى حديثك يا ليساندر . وما هيرميا بالتي

تفتقر إلى مشاعر الود والوفاء ، بحيث تقبل أن يُجانبك الهناء . غير أنى

أرجوك يا صديقى الرقيق ، من أجل حبنا ودواعى الحياء ، أن تختار

لرقادك مكاناً أبعد . فمثل هذا التباعد ، جدير بالعازب
الفاضل والعذراء . . فارقد بعيداً إذن ، وطابت ليلتك يا أعزّ صديق .
وعسى ألا يتغيّر حبّك لي ما دمت على قيد الحياة .

ليساندر : وأنا أقول « آمين » لهذا الدعاء . وعسى أن تنتهي حياتي إن خلا قلبى
من الوفاء . . . هنا إذن سيكون فراشى ، وليجلب النوم لك الراحة
بعد العناء .

هيرميا : ومتى لمن تمنّى لي الراحة نفسُ الدعاء .

(ينأمان في ركنين متقابلين من المسرح)

(يدخل بك)

بك : مضيتُ أبحت في الغابة فلم أعر على أثني واحد أضع في عينيه
عصارة الزهرة التي تملأ القلب بالهوى . . لا شيء غير الليل
والسكون . . . من هذا ؟ إنه يرتدى ملابس الأثينيين . فهو إذن ذلك
الذي تحدث مولاي عنه وعن ازدرائه للفتاة الأثينية . . . وها هي الفتاة
تغط في النوم على أرض رطبة قذرة . . المسكينة لا تجرؤ على الرقاد قرب
حبيبها الذى لا يحبها ويفتقر إلى الأدب . ففى عينيك إذن أيها الرجل
النذل أضع هذه العصارة السحرية قوية المفعول . . . وإني لوائق أنك
متى استيقظت سيحول الحبّ بين النوم وجفونك دوماً بعد ذلك .
فلتستيقظ إذن بعد انصرافى من هذا المكان ، فعلى أن أقابل
أوبيرون الآن .

(يخرج)

(يدخل ديميتريوس وهيلينا تعدو في أثره)

هيلينا : توقّف يا ديميتريوس أرجوك ، واقتلنى إذا شئت .

ديميتريوس : وأنا أمرك بالانصراف وألا تزعجبنى .

هيلينا : وتركنى وحدى في الظلام ؟ أتوسل إليك ألا تفعل .

ديميتريوس : أحذرك وأندرك . . لتبقى هنا وسامضى وحدى .
(يخرج)

هيلينا : قد فقدتُ أنفاسى في هذه المطاردة الحمقاء . وكلما زادت توسلاتي زاد
ازوراءُ عنى بوجهه . . ما أسعدك يا هيرميا حينما كنت الآن ! ما
أسعدها بعينيها المباركتين الفاتنتين ! من أين لهاتين العينين بهذا
الريق ؟ لو كان بفضل ما تسكبه العينان من دموع ، فقد سكبت
عيناي من الدموع أضعاف ما سكبت عيناها . . كلا . كلا . فالحقيقة
أنى في مثل دمامة الدبية . . الوحوش تفر أمامى في فزع حين
تقابلنى . . فلا غرو إذن أن يجلو ديميتريوس حذو الوحوش وأن يهرب
منى . . أية امرأة خبيثة منافقة تلك التى نظرتُ فيها فجعلتنى أقارن
بين عينيّ وعيني هيرميا الجميلتين ؟ . . ولكن . . من هذا الرائد هنا ؟
ليساندر ! على الأرض ! ميتا أم نائماً ؟ لا أرى أثراً لدماء أو جراح . .
ليساندر ! إن كنت حيّاً ياسيدى فاستيقظ .

ليساندر : (يهب واقفاً) بل وأخوض النار من أجلك يا هيلينا . . لقد حبّبتك
الطبيعة يا هيلينا بشفاقة تتيح لي أن أرى القلب في صدرك . . أين
ديميتريوس ؟ هذا الاسم المقيت لإمرئى خليق بأن أذبحه بسيفى .

هيلينا : لا تتكلم هكذا ياليساندر ، لا تتكلم على هذا النحو . فما من
غضاضة في حبه هيرميا . (يا إلهي ! هل أقول ما من غضاضة !)
غير أن هيرميا لا تزال على حبها لك ، فاقنع بذلك .

ليساندر : ماذا ؟ أقنع بهيرميا ؟ لا يا هيلينا . إننى نادم على الوقت الممل الذى
قضيته معها . . ليست هيرميا من أحب ، وإنما أحب هيلينا . وما
أنت بالمقارنة بها إلا كالخامة بالمقارنة بالغراب . . إن العقل هو الذى
يوثج إرادة البشر ، وعقل يوضّح لي أنك أفضل منها بكثير . وكما أن
النباتات النامية لا تنتج ثمراً إلا في فصل معين ، فكذلك كنت أنا ،
ففى غريزٍ لم ينضج ولم يحسن التفكير حتى إكتملت رجولته . فأما وقد

نضج العقل منى فقد أخذ بعنان إرادتى ووجهها وجهة عينيك حتى أقرأ فيها أنه مامن سعادة فى الحب إلا معك .

هيلينا : هل قضت الأقدار أيضًا أن أتعرض إلى هذه السخرية القاسية ؟ ماذا جنى حتى أستحق منك مثل هذا التهكم ؟ ألا يكفينى أننى لم ألس أبدًا ، ولن ألس أبدًا ، عطفًا من ديميتريوس ، فإذا أنت تُقبل لتسخر من عجزى عن الظفر بقلبه ؟ قسًا إنك تهيننى ، أجل ، تهيننى ، بتظاهرك ساخرًا بأنك تحبى . . ولكن ، وداعا . غير أنى أعترف بأنى كنت أحسبك فى الماضى رجلاً كريماً دُمّت الخلق . . ألا ما أتعس المرأة التى يرفضها من تهواه ، ثم يأتى آخر ليسخر منها لهذا السبب !

(يخرج)

ليساندر : إنها لم تر هيرميا . . فلتظلم يا هيرميا فى نومك ، ولا تُقربى ليساندر بعد الآن . فكما أن الإفراط فى تناول الطعام الشهى يؤدى بنا إلى كراهة رؤيته ، وكما أن تحول المرأة إلى عقيدة جديدة يجعله كارهًا للقديمة التى خدعته زمنًا ، فكذا قد تحول حبى لك يا هيرميا إلى كراهية . . وسأكرس من الآن كل قواى وحبى وجهدى لهيلينا ، حتى أكون فارسها وتابعها الوقت .

(يخرج)

هيرميا : النجدة يا ليساندر ، النجدة ! ساعدنى فى التخلص من هذه الحية التى زحفت إلى صدرى . . آه ! ما أشبهه من حلم ذلك الذى رأيته ! انظر يا ليساندر كيف يرتعد جسدى فَرَقًا . . رأيته فى منامى حية تنهش قلبى نهشًا وتسلبنى إياه ، وأنت جالس تراقبها وتبتسم . . . ليساندر ! ألس هنا ؟ (تنادى) ليساندر ! سيدى ! ألا تسمع ندائى ؟ أتركت المكان ؟ لا صوت ؟ لا كلمة ؟ واضيعتى ! أين أنت ؟ كلمنى إن كنت تسمعنى . كلمنى بحق حبك إياى ! يكاد يُغشى عَلى من الخوف . . لارء ؟ فَلَسْتُ إذن فى مكان قريب . فإما أن أجدك للتو أو أسلم نفسى لموت رهيب .

(يخرج)

الفصل الثالث

المشهد الأول
فى الغابة
(يدخل العمال)

بوتوم : هل اكتمل جمعنا ؟

كوينس : كل شىء على ما يرام . . هنا مكان مناسب جدًا للتمرين على أداء تمثيلتنا . . ستكون هذه البقعة الخضراء مسرحنا ، وخلف هذه الشجيرة كثيفة الأغصان غرفة ملابسنا . وسنمثلها الآن كما سنمثلها أمام الدوق .

بوتوم : بيتروكوينس !

كوينس : ماذا تريد يا صديقى بوتوم ؟

بوتوم : هناك أشياء فى هذه الكوميديا عن بيراموس وثيسبي سيستاء منها البعض . أولاً : على بيراموس أن يستل سيفاً ليقتل به نفسه ، وهو أمر لا تستسيغه النساء . فما جوابك على هذا ؟

سناوت : هذا حق . قسمًا إنه لأمر خفيف .

ستارفلينج : أظن من الأفضل أن نحذف من المسرحية كل أعمال القتل .

بوتوم : كلا بكل تأكيد ، فعندى حلّ طيب لهذه المشكلة ، وهى أن نكتبوا لى افتتاحية ألقياها ، نقولون فيها إننا لن نؤذى بسيوفنا أحدًا ، وأن بيراموس

لن يُقتل في واقع الأمر ، وإنما هو مجرد تمثيل . ولزيادة الإطمئنان ،
نخبرهم أنني - أي بيراموس - لست في الحقيقة بيراموس ، بل بوتوم
النساج .. فمن شأن هذا أن يطمئنهم ويزيل الخوف عنهم .

كوينس : حسنا ، سنكتب مثل هذه الافتتاحية في صورة قصيدة ، بيت من ثمانية
مقاطع يليه بيت من ستة مقاطع .

بوتوم : لا . أضف مقطعين ، بحيث يل البيت من ثمانية مقاطع بيت من ثمانية
مقاطع .

سناوت : أئن ترتاع السيدات لرؤية الأسد ؟

ستارفلينج : سيرتعن بكل تأكيد .

بوتوم : أيها السادة ، فكروا جيدًا في هذا الأمر .. أن نُحضر أسداً - لا سمح
الله - إلى جَمْع فيه نساء ، أمر بالغ الشناعة . فما هناك بين الدواجن
المتوحشة ما هو أشد افتراءً من الأسد الحي . وعلينا أن نأخذ هذا في
الاعتبار .

سناوت : علينا إذن أن نكتب افتتاحية أخرى نقول فيها إنه ليس في الحقيقة أسداً .

بوتوم : بل أكثر من ذلك . علينا أن نذكر سلفاً اسم الذي سيمثل دور الأسد ،
وعليه أن يكشف عن نصف وجهه أعلى رقبة الأسد ، وأن يتكلم هو
نفسه من داخله ويقول أشياء من هذا القليب^(١) : « أيها السيدات ،
أو « أيها السيدات الجميلات ، أريدكن أن » ، أو « أناشدكن
أن » ، أو « أتوسل إليكن ألا تخفن ولا ترتعشن . حياتي فداؤكن . فإن
كنتن قد ظننتن أنني أسد حقيقي ، فإني أسف .. كلا . لستُ
بالأسد ، وإنما أنا بشر كسائر البشر » .. وعندئذ يذكر اسمه ويغيرهن
صراحة بأنه سُجج النجار .

كوينس : وهو كذلك . لنفعل ما ذكرت .. غير أن هناك صعوبتين : الأولى هي

كيفية إدخال ضوء القمر إلى القاعة . فلقاء بيراموس وثيسبي كما
تعلمون يتم في ضوء القمر .

سناوت : هل يسطع القمر في الليلة التي ستقدم فيها تمثيليتنا ؟

بوتوم : أحضروا تقويماً . أحضروا تقويماً وانظروا فيه ما إذا كان القمر سيظهر في
تلك الليلة .

(يُخرج كوينس تقويماً من حقيبته وينظر فيه)

كوينس : نعم ، سيظهر في تلك الليلة .

بوتوم : حسناً . بوسعكم إذن أن تفتحوا جزءاً من نافذة القاعة الكبيرة التي
نمثل فيها ، ثم يسطع نور القمر من خلال هذه الفتحة .

كوينس : أو أن يدخل شخص يحمل عصياً^(١) وقنديلاً فيقول إنه قد أتى ليمثل
ضوء القمر .. وهناك صعوبة ثانية ، وهي ضرورة إقامة حائط في القاعة
الكبيرة .. فالقصة تقول إن بيراموس وثيسبي كانا يتحادثان عبر شقٍّ في
حائط .

سناوت : لن يسمحوا أبداً بإقامة حائط في القاعة .. ما رأيك يا بوتوم ؟

بوتوم : يقوم شخص ما بتمثيل الحائط ، وندهنه ببعض الجِص أو الطين والقش
أو تخشينة الطلاء ، حتى يبدو كالحائط ، ثم يفرد أصابعه هكذا ،
ويتهامس بيراموس وثيسبي من خلال انفراج الأصابع .

كوينس : إن أمكن ذلك فكل شيء إذن على ما يرام .. هيا اجلسوا جميعاً ، كل
فرد منكم ، لتتمرن على الأدوار .. لتبدأ أنت يا بيراموس حتى إذا ما
فرغت من حديثك توجهت إلى غرفة الملابس خلف الشجرة ، وكذا
فليفعل كل منكم وفقاً لدوره .

(يدخل بك)

(١) إشارة إلى الاعتقاد الشائع آنذاك بأن إنسان القمر يحمل عصياً ويتبعه كلب .

(١) يعنى : من هذا القليل .

بك : من هؤلاء الأجلال الذين جاءوا بختالون هنا بالقرب من فراش مليكة الجن ؟ يعدّون لتمثيل مسرحية ؟ سأجلس فأستمع ، وربما اشتركت أيضًا في التمثيل إن وجدت داعيًا إلى الاشتراك .

كوينس : لتبدأ بالحديث يا بيراموس ، وتقدّمى يا ثيسبى .

بيراموس : ثيسبى ، إن الأزهار الجميلة ذات رائحة خطيرة

كوينس : عطرة ، عطرة !

بيراموس : ذات رائحة عطرة كأنفاسك يا حبيبتي ثيسبى العزيزة . . ولكن ، ما هذا ؟ أسمع صوتًا ! انتظري هنا لحظة وسأعود إليك بعد قليل .

(يخرج)

بك : ذاك أغرب تشخيص رأيته هنا لدور بيراموس !

(يخرج)

ثيسبى : أجاه دورى الآن ؟

كوينس : نعم ، نعم . لتفهّم أنه لم يخرج إلا لأنه سمع جلبةً ، فذهب يستطلع الخبر ثم يعود .

ثيسبى : أى بيراموس الوسيم ، يا ذا البشرة البيضاء كزهرة السوسن ، فى لون الوردة البرية الحمراء على ساقها الباسقة ، أيها الفتى المقدام ، أيها اليهودى الجميل ، أصيل كأتى حصان أصيل ، لا تكلم ولا تململ . . سأقابلك يا بيراموس عند مقبرة نينى .

كوينس : عند مقبرة نينوس يا رجل ! ولكن محل هذه الجملة هو فيها بعد عندما تجيب على سؤال بيراموس . . إنك تتلو دورك كله دفعة واحدة بالإضافة إلى الإرشادات المسرحية ! (ينادى) أدخل يا بيراموس فقد جاء دورك . كان ينبغي أن تدخل بعد جملة « لا تكلم ولا تململ » .

ثيسبى : أصيل كأتى حصان أصيل ، لا تكلم ولا تململ .

(يدخل بوتوم لابسا رأس جحش يتبعه بك)

بيراموس : إن كنت جيلًا يا ثيسبى فأنا ملك يديك .

كوينس : يا إلهى ! ما أبشع منظره وأغربه ! . قد سحرتنا الجن يا سادة . فلتنصّل ولنهرب من هذا المكان . الغوث ! الغوث !

(يلوذ العمال بالفرار)

بك : سأتبعكم وأجعلكم تضلّون الطريق . . سأفودكم عبر المستنقعات والأدغال والأجمات والأشجار ، وسأبدو فى أعينكم تارة فى صورة حصان ، وتارة فى صورة كلب ، وتارة فى صورة خنزير ، وتارة فى هيئة دبّ لا رأس له ، وتارة فى هيئة النار ، وسأصهل وأنبّخ وأنخر وأزار وأحترق ، صهيل الفرس ونباح الكلب ونخر الخنزير وزئير الدبة واحترق النار ، فى كل مكان تكونون فيه .

(يخرج)

بوتوم : لماذا يفرون ؟ إنها لدناءة منهم أن يخيفونى على هذا النحو .

(يدخل سنوات)

سنوات : آه يا بوتوم ! لقد تغيّر شكلك ! ما هذا الذى أراه قد حلّ مكان رأسك ؟

بوتوم : تسألنى ما الذى تراه ؟ ربما كنت ترى رأس الجحش الذى هو أنت !

(يخرج سنوات)

(يدخل كوينس)

كوينس : مسكين يا بوتوم يا مسكين ! لقد مسحوك .

(يخرج)

بوتوم : قد فهمتُ قصدهم الخبيث . . يظنوننى حمارًا ويريدون إخافتى إن أمكنهم ذلك . غير أنى لن اتزحزح عن هذه البقعة مهما فعلوا . سأتمشى هنا جيئةً وذهابًا ، وسأغنى حتى يسمعونى ويفهموا أنى غير خائف :

طائر الشُّحُور ، أسود الريش

بمنقاره بديع الألوان ،

والصَّغُور الصغير ، بريشه القصير

وطائر الدُّج عذب الألحان

تيتانيا : أَيْ ملاك هذا الذى يوقظنى ويدعونى إلى القيام من فراشى الوردى ؟

بوتوم : العصفور وطائر الدُّورَى والقُتْرَة

وطائر الوُقُوق الرماذى بسيط الأنغام

بأغانيه التى يسمعها الأنام

دون أن يجروا على الإعتراض

صحيح . إذ من الذى بلغ به الغباء حدَّ الدخول فى جدل مع طائر غيب

كالوُقُوق ؟ ومن بوسعه أن يُكذِّب طائرًا ولو ظل ساعاتٍ يرِدُّه صحيحه
«كوكو .. كوكو» (١) ؟

تيتانيا : أتوسل إليك أيها الكائن الفانى الرقيق أن تغنى مرة أخرى . فصولك

يفتننى كما تفتننى هيتلك الجميلة . وقد سحرنى جمالك لدرجة أنى صرت

مضطرة إلى أن أبوح وأقسم لك أنى قد وقعتُ فى غرامك من أول نظرة
إليك .

بوتوم : إن كان غرامًا يا سيدتى فاسمعى لى أن أسالك عن دواعيه .. ومع ذلك

فالواجب أن أعترف بأن العقل والحب نادرا ما يجتمعان فى هذه الأيام .

إنه لمن المؤسف أن نرى أناسًا عقلاء يهجون الحكمة عند اختيار من

يجبون .. ومع ذلك فبوسعى أن أكون خفيف الظل وقتما يجلو ذلك لى .

تيتانيا : إنك حكيم بقدر ما أنت جميل .

بوتوم : لا هذا ولا ذاك . ومع ذلك فإن كان لى عقل يهدينى سبيل الخروج من

هذه الغابة فسأكون مدينًا له بهذا .

(١) هنا تلاعب بلفظنى Cuckoo (الوُقُوق) ، Cuckold (الدُّيُوت ، أو زوج المرأة الزانية) .

والاعتراض هنا (أو التذكيب) يعنى نفى المستمع إلى إشاد الوُقُوق عن نفسه صفة الدُّيُوت .

تيتانيا : فَلْتَسْ فَكرة الخروج من هذه الغابة . فأنت باقى هنا أردت ذلك أم

لم ترد .. إننى كائن غير عادى ، له وزنه وهيبته ، وفى مقدورى أن

أتحكم كما أشاء فى جزء الصيف .. وإذ أنى أحبك فلتذهب

معى ، وسأجعل من الجن خدمًا لك ، يأتون لك بالجواهر من

أعماق البحار ، ويغنون لك وأنت راقد للنوم فوق الأزهار .. .

وسأخلصك من كل شوائب البشر حتى تصبح جنيًا كسائر

الجن . (تنادى) زهر البسلة ، نَسج العنكبوت ، عُنَّة ، حب

الحردل !

(يدخل زهر البسلة ونسج العنكبوت ، وعُنَّة ، وحب الحردل)

زهر البسلة : جاهز !

نسج العنكبوت : وأنا .

عُنَّة : وأنا .

حب الحردل : وأنا .

الجميع : إلى أين نمضى ؟

تيتانيا : أحيطوا هذا السيد بمظاهر الحفاوة والتكريم . إخرجلوا أمامه فى

الطريق ، وسلّوه برقصاتكم .. أطعموه من المشمس والتوت ،

والعنب الأرجوانى والتين الأخضر والتعليق .. إسرقوا أقراص

العسل من النحل الطنّان ، وجَرِّدُوا أرجله من الشمع لإستخدامه

فى الإنارة فى المساء ، وأشعلوا الشمع من الأعين النارية لحشرة

سراج الليل ، حين يتوجه حبيبى لى فراشه للنوم وحين يستيقظ .

وانزعوا من الفراشات الملوّنة أجنتها ، واصنعوا منها ما يحجب

أشعة القمر عن عينيه حين ينام . إنحنوا له أيها الجن وأدوا

واجباتكم نحوه .

زهر البسلة : تحية لك أيها الإنسان الفانى !

نسج العنكبوت : تحية لك !

عشــه : تحية لك !

حب الخردل : تحية لك !

بوتــــوم : شكرًا لحضراتكم من كل قلبي . . إنذن لي سباحتك بالسؤال عن إسمك .

نسج العنكبوت : نسج العنكبوت .

بوتــــوم : أمل أن تنمو معرفتي بك بمضى الوقت يا سيد نسج العنكبوت .
فإن جُرح إصبعي في يوم ما فقد أستخدمك في تضميده (١) .

وما إسمك أيها السيد المفضل ؟

زهر البسلة : زهر البسلة .

بوتــــوم : تحياتي الحارة لوالدتك السيدة مهروسة ، ولوالدك السيد قرن البسلة . وأمل أن تنمو معرفتي بك بمضى الوقت يا سيد زهر البسلة . . وأنت يا سيدى الكريم ، ما إسمك ؟

حب الخردل : حب الخردل .

بوتــــوم : سمعت الكثير عن صبرك وقوة إحتمالك يا سيد حب الخردل .
كما سمعت عن التهام الناس للكثيرين من أقرباتك أثناء تناولهم للحم المشوى . وإسمح لي أن أخبرك أنه كثيرًا ما تسبب بعض أفراد أسرتك في امتلاء عيني بالدموع (٢) . . أمل أن تنمو معرفتي بك بمضى الوقت يا سيد حب الخردل .

(١) كان نسج العنكبوت يستخدم أحيانًا في صنع الضاد لوقف نزف الدم من الجروح .

(٢) إشارة إلى استخدام الخردل (الموستردة) مع أكل اللحم ، وإلى تسبب طعمه ورائحته أحيانًا في إثارة الذمّع .

تيتانيــــا : لخدموه إذن ، ولتمضوا به الآن إلى جناحي الخاص . . يجتَل إلى أن عيني القمر مُغرُورقتان بالدموع . وحين يبكي القمر ، تبكى معه كل زهرة صغيرة ، وكأنها تأسف لانتهاك الطلّ عفتها (١) . . هيا . واربطوا لحبيبي لسانه حتى يمضى معكم وهو صامت (٢) .

(بخرجون)

(١) إلهة القمر في الأساطير الإغريقية هي إلهة العقّة . وكان ثمة إعتقاد أن القمر - حين يبكي - يتسبب في الطلّ الذي يكسو الأزهار « فينتهاك عفتها » .
(٢) للحيلولة بينه وبين النهيق في غابة أوبيرون .

المشهد الثاني فى الغابة

(يدخل أويرون)

أويرون : ليت شعرى هل إستيقظت تيتانيا ؟ وما أول شيء وقعت عينها عليه عند إستيقاظها مما قَدَّر لها أن تهيِّم به وتعشقه كل العشق ؟

(يدخل بك)

ها هو رسولى قد جاء . ما الأخبار أيها الجنى المجنون ؟ وأية حيل خبيثة تخطط الآن لها فى هذه الأليكة المسحورة ؟

بك : سيدتى قد وقعت فى غرام وحش من الوحوش ، قرب تُعْرِشَتها السرية المقدسة . إذ بينا هى غارقة فى نومها العميق ، أتت جماعة من الصنّاع الأجلاف الحمقى ممن يكسبون عيشهم فى حوانيت أثينا ، واجتمعوا ليتعزّوا على تمثيلية سيّودونها يوم غرس ثيسوس العظيم . . فاما أكثر هذه الجماعة الحمقاء حماقة وسطحية ، وهو الذى سيلعب دور بيراموس فى تمثيلتهم ، فقد حدث أن ترك مكان التمثيل ودلف خلف أجمة ، فانتهز الفرصة وألبسته رأس جحش . وقد كان عليه وقتها أن يردّ على حديث حبيبتة ثيسى ، فعاد الممثل إلى مكانه . فما أن وقعت أعينهم عليه حتى ولّوا هاربين ، فرار الأوز البرى حين يرى الصائد يزحف فى إتجاهه ، أو فرار الغربان السوداء حين تسمع طلّقه بندقيته ،

فتتفرق طائفة فى الفضاء كالمجنونة فى كل اتجاه . وإذ أقبل الجن يهزون الأرض من تحتهم ، سقط البعض فوق البعض وهم يصيحون « إنهم يقتلوننا ! » ويصرخون طالبين النجدة من أثينا . وقد أفقدهم الخوف مداركهم حتى ما عادوا يحسّون بأشواك أغصان الشجر وهى تُخْرِزُهُمْ وتؤذى أبدانهم وتمزق ملابسهم ، وتترع عن بعضهم أكمامهم وعن البعض قبعاتهم ، وعن كل فرد منهم شيئاً مما يرتديه . وقد قُدَّت مسيرتهم فى الغابة وهم على هذه الحالة من الخوف والذهول ، تاركاً بيراموس الرقيق ممسوحاً فى موقعه ، فى نفس اللحظة التى استيقظت فيها تيتانيا ، فإذا هى من فورها تقع فى غرام الجحش .

أويرون : هذا أفضل مما كان يوسعى أن أدّبره . ولكن ، هل وضعت عصارة الحب فى عيني الفتى الأثينى كما أمرتك ؟

بك : وهذا أيضاً قد فرغْتُ منه . . رأيته نائماً والمرأة الأثينية بالقرب منه ، بحيث لن يملك إلا أن يراها عند استيقاظه .

(تدخل هيرميا وديميتريوس)

أويرون : لنسرق السمع سراّ إليها . . هو نفس الفتى الأثينى .

بك : هى نفس المرأة الأثينية ، غير أن الرجل غير الذى رأيته .

(يتتحيان جانبا)

ديميتريوس : لماذا تعتقن من يحبك كل هذا الحب ؟ هو تعنيف أوّلَى أن يوجّه إلى الأعداء لا إلى أصدق المحبين .

هيرميا : إن كنتُ أعْتَقُ الآن فإنك تستحق منى ما هو أسوأ من مجرد التعنيف . ذلك أنك إنما تدفعنى إلى أن أصبّ عليك جام لعناتى . فإن كنتُ قد قتلت ليساندر أثناء نومه ، ولطّخت يدك بدمه ، فهبّا لطّخ يدك الأخرى بدمى أنا أيضاً . . ألا إن الشمس ليست بأشدّ إخلاصاً للنهار منه لى . أفَتُعْقل أن يكون قد تسلّل هاربا مخلفاً إيتاى فى نومى ؟

ما أحسبني سأصدق هذا حتى أصدق أن القمر قد اخترق الكرة الأرضية وجاوز مركزها حتى أغضب شمس الظهيرة التي تسطع على الجانب الآخر من العالم . . لا . . لا بد أنك قد قتلتها ، فلك مظهر القاتل الشرس الذي يُنزل الموت بالأحياء .

ديميتريوس : بل لي مظهر القاتل لا مظهر القاتل وقد أصابتنى قساوتك بطعنة نافذة في قلبي . أما أنت ، فرغم أنك قاتلتني فإنك تتلألئين وتتألقين تألق كوكب الزهرة هناك في السماء الصافية .

هيرميا : ما شأن حديثك هذا بليساندر ؟ أين هو ؟ هل يوسعك أى ديميتريوس الطيب أن تردّه إلى ؟

ديميتريوس : أفضل أن ألقى بجثته إلى الكلاب على أن أردّه إليك .

هيرميا : إليك عنى إذن أيها الكلب فإنك تخرجني عن طوري وعن حدود صبر العذراء . هل قتلتها إذن ؟ لو كنت قد فعلتها لما أمكن إعتبارك من اليوم في عداد البشر . . قل الصدق ولو مرة واحدة . قل الصدق ولو بحياتي عندك . إنك ما كنت لتجرؤ على النظر إليه وهو في يقطته ؟ فهل قتلتها إذن وهو نائم ؟ ألا ما أشجعك ! أتيت بفعله تجرؤ عليها الحشرة والأفعى . . وقد ارتكبتها بالفعل أفعى . فما من أفعى مزدوجة اللسان لها من عضة قوية كعضتك أيها الثعبان !

ديميتريوس : إنها نصيب من أجام غضبك شدي من أجل وهم خاطئ . فأنا برىء من دم ليساندر ، وهو على حد علمي حتى يُرزق .

هيرميا : فلنطمئنني إذن على أنه بخير ، أرجوك .

ديميتريوس : وما جزائي على هذا إن فعلت ؟

هيرميا : ستكون مكافأتك ألا تراني بعد اليوم . وها أنا أرحل عن طلعتك المقيتة ، فلا تحاول رؤيتي مرة أخرى حيا كان ليساندر أو ميتا .

(تخرج)

ديميتريوس : لا جدوى من المضي في إثرها وهي في مثل هذا المزاج الغاضب . . وسأبقى هنا إذن بعض الوقت . . إن الحزن لتشد وطأته مع حدة إفتقارنا إلى النوم . فلا حاول أن أخفف بعض الشيء منه بأن أرقد هنا في طلب النعاس .

(يرقد على الأرض)

أوبيرون : ويل عليك ، ما الذي فعلته ؟ ! لقد أخطأت أقدح الخطأ فوضعت عصارة الحب في عين عاشق وفي ، مما سيجعله يهجر حبيبته ، بدلاً من أن تضعها في عين فتى آخر حتى يقع في غرام من كان يكرهها .

بـك : وهذه هي شنة الحياة والأقدار : فمقابل إنسان واحد وفي في حبه ، نجد مليوناً ينكثون عهود الوفاء التي قطعوها على أنفسهم .

أوبيرون : فلتمض إلى الغابة بأسرع من سرعة الريح باحثاً عن هيلينا الأثينية التي أسقمها الغرام وذهب بحمرة خديها ، وملأ صدرها بالتهديدات التي تسلب العروق دمها . . لتلجأ إلى حيلة تقودها بها إلى هذا المكان ، فتسحر عينيه حتى يقع في غرامها حينها يراها .

بـك : سامضى لتوى . . سامضى لتوى . انظر ! ها أنا ذا أمضى بأسرع من السهم المنطلق من قوس الترتى .

(يخرج)

(أوبيرون يضع قطرات من العصارة على جفني ديميتريوس)

أوبيرون : أيتها الزهرة في لونها الأرجواني

ليكن لك مفعول سهم كيوييد النار .

لتمض عصارتك إلى مقلتيه

وحين ينظر إلى الحبيبة بعينه

فلتبد له في أبهى الصور وأحلاها

وكانها هي كوكب الزهرة في علها .

فإن كانت إلى جانبك عند قيامك
فتوسل إليها أن تُشفيك من لوعة غرامك .
(يدخل بك)

بـك : أئى سىدى وسيد مملكة الجان
ها هي هيلينا تقترب من هذا المكان
وعلى أثرها يأتى الفتى الذى خُدرت فيه
يطلب حيتها ويشتهي .

فهلاً استمعنا إلى ما يقوله الأحقان ؟

آه يا سىدى ! ما أشد حماقة الإنسان !

أوبيرون : نتحّ جانباً . فالجلبة التى سيحدثها الفتى مع فتاته
كفيلة بأن توقف ديميتريوس من سباته .

بـك : سيكون ثمة إذن رجلان فى طلب سيّدة ؛
وهي لعمري تسلية جيّدة .
فما من شيء يبهجنى على هذه البسيطة ،
قدر ما تبهجنى المواقف العبيطة !

(يخرجان)

(يدخل ليساندر وهيلينا)

ليساندر : ما الذى يجعلك تعتقدين أننى أسخر منك إذ أعبر عن حبي لك ؟ إن
السخرية والاستهزاء لا يجتمعان أبداً مع دموع العين . وها أنا ذا أبكى
إذ أصرّح لك بهوى . وإنه لوى صادق ذلك الذى يعبر عن نفسه مع
إمتلاء العينين بالدموع . فكيف يمكن إذن أن تحسبى هازئاً بك وفى
عينى ما يشهد على صدق مشاعرى ؟

هيلينا : ها أنت تتدأى فى سخريتك أكثر فأكثر . . فأية أغراض خبيثة تلك
التي يستهدفها « الصدق » حين تسخر عهود وفائك لى عهود وفائك

لهيرميا ؟ أفى نيتك أن تهجرها ؟ إنك إن وزنت عهودك لها بعهودك لى لما
رجحت كفة فى الميزان . فعهودك لكلينا إذن محض هراء ومحض إفك
وبهتان .

ليساندر : لم أكن فى وعي حين أقسمتُ لها أنى أهواها .

هيلينا : ولا أنت فى وعيك الآن إذ تقرر أن تنساها .

ليساندر : ديميتريوس لا يجبك ولا يريد سواها .

(ديميتريوس يستيقظ من نومه)

ديميتريوس : هيلينا ! أيتها الإلهة ، أيتها الحورية ، أيتها الفتاة الكاملة ، أيتها الفتاة
الإلهية ، حبيبتي ، بإذا عسأ أن أقارن عينيك ؟ البلور يبدو فى لون
الطوى إن قورن بصفائها . . وما أنضج شفتاك الشبيهة بقلتها بقله
حبّتين من الكرز ! وحين أقارن بياض يدك بالثلوج البيضاء النقية على
قمم جبال طوروس الشاهقة التى تغشاها رياح الشرق ، تبدو تلك
الثلوج فى لون الغراب ! فليؤذن لى بتقبيل هذه الأميرة ناصعة البياض
النقية ، حتى أضمن لنفسى سعادة أبدية .

هيلينا : كل هذا البؤس وهذا الجحيم ! أراكما قد إنحدتما منى هدفاً لسخرتكما .
ولو أنكما مهذبان تلزمان حدود الأدب واللياقة ، لما رضيتما أن تؤذيانى
كل هذا الإيذاء . ألا يكفيكما أن تكراهنى - وأنا أعلم أنكما تكراهنى -
فأبئتا إلا أن توحدآ جهودكما للإستهزاء بى ؟ لو أنكما حقاً رجلان كما
يوحى مظهركما بذلك لما عاملتما فتاة كريمة الأصل هذه المعاملة .
تعاهدان وتقسمان وتبالغان فى وصف محاسنى وأنا أعلم تماماً أنكما
تكراهنى من صميم قلوبكما . . إنكما تتنافسان على حب هيرميا ،
وتتنافسان الآن على السخرية بهيلينا . فما أروع من دور خليق بالرجال
أن تتبرا الدمع فى عينى فتاة مسكينة بسخرتكما ! دعانى أخبركما أنه ما
من فتى نبيل يقبل أن يبين عذراء ويُفقد المسكينة صبرها لمجرد أن
يضحك ويسلى نفسه .

ليساندر : إنها لقسوة منك يا ديميتريوس ، فلتكفّ عن هذا العبث . فأنأ أعلم أنك تحب هيرميا ، وأنت تعلم أنى أعلم هذا . وما أنا أعلن هنا بمحض إرادتى ومن صميم قلبى أنى أغفل لك عن حبّ هيرميا . فلتتخلّ أنت لى عن حب هيلينا التى أهواها وسأظل أهواها طوال عمرى .

هيلينا : ما أحسب مستهزئين قد بلغوا فى إستهزائهم هذا الحد !

ديميتريوس : لنتحفظ بهيرميا ياليساندر ، فلا رغبة لى فيها . فإن كنتُ أحببتها فى وقت من الأوقات فقد وئى هذا الحب ومضى . وما هويتها إلا لفترة قصيرة عدت بعدها إلى هيلينا ، شأن الإقامة العابرة لمسافرٍ فى فندق ، يعود بعدها ليقيم دوما فى داره .

ليساندر : لا تصدّقيه يا هيلينا .

ديميتريوس : لا تهزأ بوفاء لا تعرفه وإلا دفعتُ ثمنًا غاليًا فيه . . انظر ! ها هى حبيبتك قد أقبلت . ها هى معشوقتك .

(تدخل هيرميا)

هيرميا : إن ظلمة الليل التى تحول بين عيني وبين الرؤية ، تزيد من رهافة سمعى وتشحذه . فهى إذ تسلب حاسة البصر قواها ، تضاعف من قوة حاسة السمع . . لقد عثرتُ عليك يا ليساندر ، لا بفضل عيني ، ولكن بفضل أذنّى اللتين إهتديت بهما إلى مكانك . ولكن ، خبرنى ، كيف سمح لك قلبك بأن تتركنى على هذا النحو ؟

ليساندر : ولماذا يبقى من يدفعه الحب إلى الانصراف ؟

هيرميا : وأنى حب ذاك الذى دفع ليساندر إلى مغادرتى ؟

ليساندر : الحب الذى دفعنى إلى الانصراف هو حبى لهيلينا ، تلك التى تنير الليل بأكثر مما تنيره النجوم والشُّهب . لماذا تأتين فى أثرى ؟ ألم يكن ذلك كافيًا حتى تعلمى أن كراهيتى لك هى التى دفعتنى إلى الانصراف عنك ؟

هيرميا : لا أظنك تقول ما تعتقده ، فهذا محال .

هيلينا : إنها شريك لهما فى المؤامرة . نعم . أرى الآن أن ثلاثتهم قد اتفقوا فيما بينهم على أداء هذه التمثيلية للسخرية بى . . أنى هيرميا الشريرة ، أنت أيتها الفتاة الجاحدة ، هل تأمرت معها كى تهزوا بى بهذه الحيلة السخيفة ؟ هل ضاعت شدى عهود الأخوة التى قطعناها على أنفسنا ، وتبادلنا للأمرار ، والساعات الطوال التى كنا نقضيها معًا ثم نلعن بعدها إضطرابنا إلى الافتراق ؟ هل نسيت كل هذا ؟ نسيت صداقتنا أيام الدرس وبراءة الطفولة ؟

لقد كنا يا هيرميا نجلس كلّهتين حاذقتين ننسج معًا بإبرنا صورة زهرة واحدة على قماش واحد ، جالستين على وسادة واحدة ، مترنمتين فى توافق بأغنية واحدة ، وكأنا إتحدت يدانا وجانبانا وصوتانا وعقلانا فى كيان واحد . . وكذا شبينا معًا ، كثمرة الكرز الجميلة المزدوجة ؛ تبدو إثنين وما هما إلا اثنتان فى واحدة ؛ لها ساق واحدة ، وفى جوفها بذرة واحدة ، وإن خيل أن لها جسمين . كنا كشعار الفارس النبيل ، عليه صورة من شطرين تجمعها شارة واحدة ، وهما فى ملك إنسان واحد . فهل تضحيتن بحبنا القديم هذا من أجل مشاركة الرجلين فى إزدراءهما بصديقتك المسكينة ؟ ليس هذا عُرف الصداقة ، ولا عُرف العذارى . ويوسعى كما يوسع بنات جنسنا جميعًا أن نؤاخذك على ما تفعلن ، وإن كنت أنا وحدى من يشعر بالمهانة .

هيرميا : كلما تك الغاضبة قد أصابتنى بالذهول . . إننى لا أهرأ بك . بل أغلب ظنى أنك أنت التى تهزئين بى .

هيلينا : ألسنت أنت التى حرّضت ليساندر على السخرية بى ، فإذا هو يتبعنى ليشيد بمفان عينيّ ووجهى ؟ ألسنت أنت التى دفعت حبيبك الآخر ديميتريوس الذى كان يركلنى بقدمه منذ ساعات إلى أن يدعونى بالإلهة والحرورية والإلهية والنادرة والنفيسة والسأوية ؟ إذ كيف يتحدث على هذا النحو إلى من يكرهه ؟ ولماذا ينكر ليساندر حبّه لك ، وهو

الذى يملأ قلبه ، ويبنى حبه وهواه ، إلا برضائك وبحريضك إياه ؟
فإن كنتُ أقلَّ حظًا من الجبال منك ، ولستُ مثلك محبوبًا من الجميع
هنيئًا العيش ، فهاذنبى فى ذلك وأنا التعسة التى تهوى من لا يهواها ؟
أليس هذا أجدر بأن يثير شفقتك دون سخريتك ؟

هيرميا : أنا لا أفهم ما تعنين بهذا القول .

هيلينا : فافهمى إذن ! واصلى دعابتك وارسمى على وجهك علامات الحزن
والأسى ، وأخرجى لى لسانك حين أدير ظهرى ، وتبادلوا فيها بينكم
الغمزات ، واستمروا فى هوكم الذى أحكمتكم تدبيره ويصلح مادة
لقصة طريفة تروونها فيها بعد . ولو كان لديكم إحساس الشفقة أو
أدبٌ وحسنُ سلوكٍ لما جعلتمونى مادة لسخريتكم . . ولكن وداعًا .
فأنا مسئولة إلى حدٍّ ما عما دهانى ، ولن يريخنى منكم غير العزلة أو
الموت العاجل .

ليساندر : بل ابقى يا هيلينا الرقيقة واسمعى عذرى . أى هيلينا الجميلة أى
حبنى وحياتى وروحى !

هيلينا : رائع !

هيرميا : كفك سخرية بها يا حبيبى .

ديميترىوس : إن لم يكن توسلها إليه كافيًا فيوسعى أن أجبره .

ليساندر : ليس بوسعك أن تجبرنى على شئ لا تحقّقه توسلاتها . فتهديداتك
ليست بأقوى من تضرّعها الواهن . . هيلينا ، إنى أحبك . قسما
بحياتى أحبك ، بحياتى التى سافقدها الآن من أجلك لإثبات كذبه
إذ يزعم أنى لا أحبك .

ديميترىوس : وأنا أقول إنى أحبك حبًا هو أكبر مما سيكون بوسعه أن يمنحك إياه .

ليساندر : إن كان هذا قولك فهيا إلى المبارزة حتى تثبت صدقك .

ديميترىوس : على الفور . . هيا .

هيرميا : ما معنى هذا يا ليساندر ؟ (تتعلق به) .

ليساندر : إليك عنى أيتها الزنجية ^(١) !

ديميترىوس : حسنًا إذن يا سيدى ! تظاهر بأنك تحاول عبثًا الإفلات من قبضتها ،
وأنت تريد الخروج معى إلى المبارزة ولكنك لا تستطيع ! إليك عنى إذن
فأنت امرؤ جبان !

ليساندر : إليك عنى أيتها الحرّة ، أيتها البنت الشائكة ! دعنى أيتها الحقيرة وإلا
نحيبك عنى بالقوة كما أنحى الأفعى عن جسدى !

هيرميا : ما هذه الوقاحة المفاجئة منك يا حبيبى ؟ وأنى تقلب هذا الذى طرأ
عليك ؟

ليساندر : حبيبك ؟! أغربى عن وجهى أيتها الترية السمراء ، أيتها الجرعة من
الدواء كرية المذاق . . أغربى عن وجهى !

هيرميا : أمزح يا ليساندر ؟

هيلينا : أجل هو مزح ، وأنت أيضًا تمزحين .

ليساندر : سأفى بوعدى يا ديميترىوس وأبارزك .

ديميترىوس : أريد توقيعك على هذا الكلام ، فإنى لا أثق فى وعد منك وأنا أرى
مخلوقة ضعيفة تحول بينك وبين الذهاب .

ليساندر : ماذا تريدنى أن أفعل ؟ أؤذيها أم أضربها أم أقتلها ؟ لا . فرغم أنى
أمتقتها فلن ألحق بها أذى .

هيرميا : أهنك أذى أكبر من كراهيتك لى ؟ تمقتنى ؟ لماذا ؟ وأسفاه ! ما الذى
حدث يا حبيبى ؟ ألسنتُ هيرميا ؟ ألسنتُ ليساندر ؟ إن جمالى هو كما
كان منذ ساعات . وكنت تهوانى فى الليلة الماضية ثم تركتنى . .
أفيمكن أن تكون - لا سمح الله - قد تركتنى عامدًا ، وعن قصد ؟

(١) فى الاصل : اللابوية ؛ إشارة إلى لون بشرتها الأسمر . وكانت سمره الوجه فى النساء مكروهة فى
إنجلترا فى زمن شكسبير .

ليساندر : أقسم أنى تركتك عمداً وعن قصد وعن رغبة فى ألا أرى وجهك بعد الآن . فلتتخلل إذن عن كل أمل وكل تساؤل وكل شك . تأكدى من صدق ما أقول ومن أنى لا أمزح ، ومن أنى أحب هيلينا وأمفتك .

هيرميا : ولى عليك أيتها المخادعة ! إنكِ لكالدودة آكلة الورد ، وسارقة الهوى . هل تسلّلت إليه ليلاً فسلّبت قلب حبيبى منه ؟

هيلينا : إنكِ حقاً رائعة ! أما عندك من حياء أو خَفَر أو خجل ؟ أتريدن أن تضطرى لسانى العفيف أن يمطرك بالسباب ؟ أسفى عليك أيتها الدُمية الزائفة !

هيرميا : دُمية ؟ أجل ، أجل ، هكذا تمضى اللعبة إذن ! قد فهمتُ الآن . لقد قارنت بين قامتها وقامتى ، واستغلت طول قامتها وشموق عُودها فى إغرائه وضوايته . فهل ارتفع قَدْرُكَ عنده لأنى قزمة قصيرة القامة ؟ وما مبلغ قصرى أيتها السارية الطويلة الملوّحة بالأصباغ ؟ ما مبلغ قصرى ؟ غير أنى لست من القصر بحيث أعجز عن الوصول إلى عينيك بأظافرى .

هيلينا : أرجوكم أيا السيدان - رغم سخريتكما بى - أن تمنعاهما من إيذاى . فإ كنتُ يوماً بالمتوحشة ولا بالمتهمسة فى الشجار والعراك ، وما أنا إلا فتاة جبانة شأن معظم الفتيات . فلا تدعاهما تضربنى ، ولا تحسبا أنى نذّها لقصر قامتها وطولى .

هيرميا : ها هى تشير مرة أخرى إلى قصر قامتى .

هيلينا : أى هيرميا لا تغضبى هكذا منى . لقد أحبتك دائماً يا هيرميا ، وكنت أصون سرّك ولم أوذيك قط ، إلا حين اضطرنى حبى لديميتريوس إلى إفشاء خبر فرارك إلى الغابة إليه . وقد دفعه حبه لك إلى إقتفاء أثرك ، ودفعنى حبى له إلى إقتفاء أثره . غير أنه وبخنى وهذدنى إن لم أتركه بالضرب والركل بل وبالموت أيضاً . فإن أنتم تركتمونى أنصرف فى سلام عدتُ بخييتى إلى أثينا وهجرت محاولة اللحاق بكم . . دعونى أذهب ، خاصة وقد أدركتم مدى سذاجتى وحماقتى .

هيرميا : إنصرفى إذن ، هيا . من ذا الذى يمنحك ؟

هيلينا : قلبٌ أحق أخلفه هنا ورائى .

هيرميا : تخلفينه مع ليساندر ؟

هيلينا : بل مع ديميتريوس .

ليساندر : لا تخشى شيئاً يا هيلينا ، فلن أدعها تؤذيك .

ديميتريوس : قسماً لن تؤذيها رغم إنحيازك إلى جانبها .

هيلينا : إنها لتغدو عند الغضب كاللوحش الكاسر . وكذا كانت حدّة مزاجها فى أيام الدراسة . فهى دائماً كالحيوان المفترس رغم قصر قامتها .

هيرميا : تعودين إلى ذكر قصر قامتى ؟ لا صفةٍ فى غير قصر قامتى ؟ هل ستركانها تهبّنى على هذا النحو ؟ دعانى وإيّاها .

ليساندر : بل فلتذهبى أنت أيتها القزمة الضئيلة الهزيلة متوقّفة النمو !

ديميتريوس : إنك لشديد الإهتمام بأمر من لا يعنيه أمرُك . أترك هيلينا وشأنها ولا تذكر اسمها ولا تقف إلى جانبها . . وأقسم أنك لو نطقت بكلمة واحدة تعبر بها عن حبك لها فستدفعن ثمن ذلك . (يخرج سيفه من غمده)

ليساندر : هى لا تحول الآن بينى وبين مبارزتك . (يخرج سيفه هو الآخر) . فلتتبعنى إذا جرّؤت حتى نرى أينا أحق بالظفر بها . (يخرج)

ديميتريوس : أتبعك ؟ بل سأمضى معك جنباً إلى جنب .

(يخرج ديميتريوس فى أثره)

هيرميا : أنت السبب أيتها الفتاة فى كل ما حدث . . قفى ! لا تتراجعى !

هيلينا : لا آمن على نفسى منك ، ولن أمكث أطول من هذا فى صحبتك اللعينة . يداك أقوى من يداى عند الشجار ، غير أن طول ساقى سيعيننى على الفرار . (تخرج)

هيرميا : إني مذهولة لا أدرى ما أقول .

(تخرج هيرميا في أثر هيلينا)

(يدخل أوبيرون وبك)

أوبيرون : كل هذا نتيجة إهمالك . . إما أنك قد أخطأت أو أنك تتعمد القيام بهذه الحيل الخبيثة .

بـك : صدقنى أى ملك الجان حين أقول إنه مجرد خطأ وقعت فيه . ألم تقل لى إنى سأتعرف على الرجل من ثيابه الأثينية ؟ فأننا برىء إذن إذ وضعت العصاة فى عيتى فتى أثينى . غير أنى مع ذلك سعيد أن أرى الأمور وقد اتخذت مجراها هذا ، وأن أجد فى شجارهم فيما بينهم تسلية عظيمة .

أوبيرون : الفتيان العاشقان ، كما ترى ، يبحثان عن مكان يتبارزان فيه . . فهيا أسرع إذن يا روبيين ، فزّد من حلقة الليل البهيم ، وغطّ نجوم السماء بضباب كثيف فى سواد الحجيم ، وإجعل المتناقضين الحائقين يضلّان الطريق ، فلا يلتقى أحدهما بالآخر وجها لوجه . فليقتمص لسائك حيناً صوت ليساندر ، فتثير بسخريتك أثارة ديميترىوس ، ثم فليقتمص صوت ديميترىوس فتثير أثارة لساندر ، ثم فلتبعد كلا منهما عن موقع الآخر حتى يشغبا نوم كالموت ، فيغلّفهما بجناحي الخفاش ويطأ جفونهما بقدميه الثقيلتين . . ثم فلتضع عصاة هذا النبات فى عين ليساندر ، وهى القادرة على إزالة أثر الخطأ الذى ارتكب وإعادة مُثُلتيه إلى حالهما القديم . وحين يستيقظون من نومهم سيحسبون كل ما حدث من الشجارات مناما وأضغاث أحلام . عندئذ يعود العشاق إلى أثينا وقد ربطت بينهم أواصر تبقى قائمة معهم حتى الموت . . وفى أثناء قيامك أنت بهذه المهمة التى كلفتك بها ، سأوجه أنا إلى ملكتى أسألها أن تعطيني غلامها الهندى ، وأحرز عينيه من ربة عشق ذلك الوحش القبيح ، فتعود بذلك كل الأمور إلى نصابها الصحيح .

بـك : ولابد من الإسراع بكل هذا يا مولاي الجتنى ، حيث أن ظلمات الليل تتراجع سريعاً وتنحسر ، وأشعة الصباح على وشك الظهور ، فتضطرب الأشياع الهائمة هنا وهناك إلى التثقف والعودة إلى مدافن الكائنات . وقد آبت بالفعل إلى قبورها المنيئة بالدود كل الأرواح الملعونة المدفونة عند تقاطع الطرق أو فى أعماق البحار ^(١) ، خشية أن يطلع عليها نور النهار فيفضحها . فهى دائماً تتوارى بنفسها عن الضوء ولا تخرج أبداً إلا فى ظلمة الليل .

أوبيرون : أما نحن فأرواح من صنف آخر ، نعشق النهار ولا نهائه ، ولنا ما لساكين الأعراس من حق فى التجوال أينما شئنا ، حتى إن إمتلاء الأفق فى الشرق بأشعة مباركة نارية الحمرة ، يراها يتون إله البحر فيحوّل مائه الأخضر المالح إلى ذهب سائل أصفر اللون . . ومع هذا فعلينا أن نسرع بتنفيذ ما استقر عليه القرار ، فقد ننجح فى إنجاز مهمتنا قبل طلوع النهار .

(يخرج)

بـك : هنا وهناك ، هنا وهناك ،

سأقودهما هنا وهناك ،

وأربك منهما الخطّ والعقول ،

أنا الذى يخشوننى فى المدن والحقول ،

سأقودهما هنا وهناك .

(يدخل ليساندر)

ها هو أولها .

(١) يقصد بالأرواح الملعونة أرواح أهل الجحيم . وقد كان المتحررون يدفنون فى عصر المؤلف عند تقاطع الطرق لا فى فناء الكنيسة . كما كان ثمة اعتقاد بأن العرقى فى البحار قد قدّر لأرواحهم أن تظل هائمة على الدوام لا تعرف راحة أو رقاد .

ليساندر : أين أنت يا ديميتريوس المتغطرس ؟ تكلم حتى أسمعك .
بـك : هنا أيها الوجد . سَتَقِي في يدى ومستعدّ للنزال . . أين أنت ؟
ليساندر : سأكون عندك لتَوَى .

بـك : فلتتبعنى إذن إلى أرض أكثر استواء .

(يخرج ليساندر)

(يدخل ديميتريوس)

ديميتريوس : تكلم يا ليساندر مرة أخرى . . تكلم أيها الهارب الجبان .

أَلَّذْتُ بالفرار ؟ تكلم ! أورا أجمِ أنت ؟ أين أخفيت رأسك ؟

بـك : أتفخر بنفسك أيها الجبان بمشهد من النجوم ، وتوهم الأشجار بأنك
تطلب النزول وأنت لا تجرؤ على القدم ؟ هيا أيها الجبان الطفل حتى
أؤدبك بعضا ، فما من رجل يشرفه أن يُشهر عليك سيفه !

ديميتريوس : أأنت هناك ؟

بـك : إتبع صوتى ، فمكاننا هذا غير صالح للمبارزة .

(يخرجان)

(يدخل ليساندر)

ليساندر : يسبقنى وينادى علىّ يتحدّانى . وحين أصل إلى مكان صوته لا أجده
فيه . لا شك في أن الوجد أسرع خُطَى منى ، إذ مهما أسرعْتَ في أثره
فهو يسبقنى . وقد خارت قواى من وعورة الطريق في الظلام .
فلأسترح هنا حتى يَهْل علىّ النهار .

(يرقد للنوم في أحد أركان المسرح)

حتى إذا ما ظهر ضوء الشمس ، بحثتُ عن ديميتريوس حتى أجده
وأشفى غليل منه .

(يدخل بك وديميتريوس)

بـك : هُو هُو هُو ! لماذا لا تأتيني أيها الجبان ؟

ديميتريوس : إن كانت لديك الجرأة فانتظرنى . فأنا أعلم أنك تعدو أمامى وتراوغنى
منتقلا من مكان إلى مكان ، دون أن تجرؤ على التوقف لمواجهةى . .
أين أنت الآن ؟

بـك : هنا . تعال إلى هنا .

ديميتريوس : إنك تسخر منى ، وستدفع ثمن ذلك غاليا متى رأيت وجهك في
ضوء النهار . فلتمض الآن لشأنك . . التعب يضطرنى إلى الرقود هنا
في هذا الفراش البارد . . فانتظرنى إذن عند مطلع الشمس .

(يرقد في ركن آخر)

(تدخل هيلينا)

هيلينا : يالك من ليل مُنْهَك طويل ثقيل ! هالاً قَصَرَتْ من ساعاتك ؟ !

فلتشرق الشمس بدفئها وراحتها من الشرق حتى أعود إلى أثينا في
ضوئها ، تاركة خلفى قوما لا يحبونى . وعسى النوم الذى يهْدَى
أحيانا من سُوء الحزن أن يزورنى حتى أنسى ذاتى بعض الوقت .

(ترقد للنوم في ركن ثالث)

بـك : ثلاثة حتى الآن ؟ لابد من رابع حتى يكون ثمة من كل زوجين إثنان . .
آه ! هاهى مقبلة ، حزينه وفى غضب شديد . ألا ما أخبت ذلك
الصبيّ كيوييد ! أهكذا يُقْبَد النساء المسكينات صوابهن ؟

(تدخل هيرميا)

هيرميا : لم أَخْبُرْ في حياتى مثل هذا التعب ولا مثل هذا الشقاء . قد بللنى الطلّ
ومزّت الأغصان ثيابى . . لا طاقة لى على المشى ، وما بوسعى أن
أمضى قُدْما . وسأقت أضعف من أن تطيعا هواى . . سأستريح هنا
حتى يطلع النهار . ووقى الله ليساندر من شر الشجار .

(ترقد في الركن الرابع)

بـك : على الأرض تنامون

ريثما أضع عصاة الحُب في العيون .

وحين تستيقظون

ستسعدون وتطربون

لمرأى من كتتم بالأمس تعشقون .

وكما يقول المثل عن النصيب

كل امرئ قد قُدر له حبيب

وهو ما سيُثبت بالتأكيد لكم

لحظة إستيقاظكم من نومكم

حين يعود كل منكم إلى هواه

فيشلع قلبه بنيل مناه .

(يخرج)

الفصل الرابع

المشهد الأول فى الغابة

(العشاق الأربعة راقدون فى نومهم - تدخل تيتانيا وبوتوم
مع أتباعهما من الجن ، بينما يراقبهم أوبيرون دون أن يروه)

تيتانيا : تعال ، فلتجلس هنا على هذا الفراش من الزهور ، حتى أتحسس
خديك الجميلين ، وأضع ورود المسك فى رأسك الناعم الأملس ،
وأقبل أذنك الكبيرتين الرائعتين يا بهجة حياتى ومنأى .

بوتوم : أين زهر البسلة ؟

زهر البسلة : هنا .

بوتوم : اهرش لى رأسى يا زهر البسلة . . وأين المسيو نسج العنكبوت ؟
نسج العنكبوت : هنا .

بوتوم : مسيو نسج العنكبوت ، خذ سلاحك فى يدك يا مسيو ، واقتل لى
نحلة طنّانة حمراء الخضر تقف على نبات شائك ، واحضر لى
قرص العسل يا مسيو ، ولكن حذار من أن ينكسر القرص . إنى
أسف إذ أسألك أن تحمل ما قد لا تكون لك طاقة به يا سنيور . .
ولكن ، أين المسيو حبّ الخردل ؟

حبّ الخردل : هنا .

بوتسوم : هات يدك أضافحك يا مسيو حب الخردل ، ولا داعى لكل هذه الانحناءات يا مسيو .

حب الخردل : بم تأمر ؟

بوتسوم : لا أطلب منك يا مسيو سوى أن تساعد الفارس نسج العنكبوت فى الهرش^(١) . إنى فى حاجة إلى حلاق يا مسيو ، ففى ظنى أن شعر لحيتى قد نما نمواً فظيماً . وما أنا إلا جحش رقيق ، إن دغدغنى الشعر فلا بدنى من الهرش .

تيتانيا : أترغب فى سماع الموسيقى يا حبيبى الجميل ؟

بوتسوم : لا بأس ، فلدى أذن موسيقية . فليحضروا المصَفَّات والمُخَشِّشات^(٢)

(عزف على المصَفَّات والمخشخشات)

تيتانيا : قل لى يا حبيبى أى الأطعمة تشتهي ؟

بوتسوم : حبذا زكية من الشوفان المجفف الممتاز . كما أشتهى بعض الثين الجيد الذى لا يعلوه طعام فى الدنيا .

تيتانيا : فى خدمتى جنية جريئة بوسعها أن تسطو على ذخيرة السنجاب من البندق الطازج وتحضرها لك .

بوتسوم : أفضل عليه حفنة أو حفتين من البسلة المجففة . . غير أنى أشعر برغبة عامرة^(٣) فى النوم قد إلتابتنى ، ورجائى أن تطلبلى من رعاياك ألا يزعجونى .

(١) لا شك فى أن شكسبير أخطأ هنا فكتب « نسج العنكبوت » بدلاً من « زهر البسلة » ، الذى كلّفه بوتوم بهرش رأسه .

(٢) عصى من عظم مسطح يُمسك بها العازف بين أصابعه لإحداث الأنغام ، وتستخدم لحث الأنغام على السير .

(٣) يقصد عامرة .

تيتانيا : لنتم إذن ، وسأطوقك بذراعى . . انصرفوا أيها الجن عنا ، وتفرقوا فى كافة الاتجاهات .

(يخرج الجن)

أطوقك بذراعى فى حنان كما تطوق العسفة شجرة صريمة الجدى ، أو كما يطوق اللبلاب جذع شجرة الدردار وفروعها . . أه ما أعظم حبي لك وإفتتنى بك !

(يدخل أوبيرون وبك)

أوبيرون : أهلاً بك يارويين . تفرّج على هذا المنظر الجميل ! لقد بدأت أشفق عليها من جنونها وهماقتها . . قابلتها منذ قليل خلف الغابة تبحث عن هدايا ثمينة تقدّمها لهذا الأبله الكريه ، فوبختها وتشاجرت معها . . كانت قد وضعت على رأسه المشعر إكليلاً من الزهور النضرة العطرة . أما قطرات الطلّ التى تتجمّع على البراعم وتكبر حتى تبدو أحياناً كلالئ الشرق ، فقد رأيتها وقتئذ فى أعين الزهر الجميل كالدموع تنهمر أسفاً على حماقة تيتانيا . . . وعندما عثفتها بها فيه الكفاية ، وشرعت هى فى رقة تطلب منى أن أكفّ ، سألتها أن تتنازل لى عن غلامها المسروق ، فتنازلت لى على الفور عنه ، وبعثت بجنية لتحضره لى تعريشنى فى مملكة الجن . . وإذ بات الغلام الآن لى ، فسأزيل عن عينيه ذلك الوهم الكريه . . . وعليك الآن يا بك أن تنزع رأس الجحش عن هذا العامل الأثينى ، حتى إذا ما استيقظ مع استيقاظ الآخرين ، عادوا جيئاً إلى أثينا وفى اعتقادهم أن كل ما حدث هذه الليلة ليس إلا أضغاث أحلام مزعجة .

(يضع قطرات من العصارة فى عينى تيتانيا)

غير أنى سأبدأ بإزالة الوهم عن ملكة الجن :

عودى إذن إلى ما كنت عليه منذ حين

وانظرى بالعين التى كنت بها تبصرين

وها هي زهرة ديانا تبطل مفعول زهرة كيوييد
إذها لَعْمَرَى تأثير قوي ومفعول أكيد^(١).

والآن فلنستيقظ يا تيتانيا ، أى ملكتي الجميلة .

تيتانيا : حبيبي أوبيرون ، أية أحلام تلك التي رأيته في منامي . تحيل إلى أنى قد وقعت في غرام جحش .

أوبيرون : وها هو حبيبك يرقد هنا .

تيتانيا : كيف حدث هذا ؟ ألا ما أبشع وجهه الآن في عيني !

أوبيرون : أصبري هنيهة . . روبين إخلع عنه هذه الرأس . وأنت يا تيتانيا عليك بالموسيقين . . نريد عزفاً يُنسى هؤلاء الخمسة^(٢) ما حدث لهم .

(صوت موسيقى هادئة)

(ينزع بك رأس الجحش عن بوتوم)

بـك : لتنتظر عند استيقاظك بعيني الأحق الذي كنته من قبل .

أوبيرون : نريد الآن موسيقى الرقص !

(تتحول الموسيقى الهادئة إلى موسيقى الرقص)

هيا يا ملكتي ، فلتشابك أيدينا ، ولنهز برقصنا الأرض التي يرقد عليها هؤلاء النيام .

(يرقصان)

قد عدنا الآن إذن إلى حبنا القديم . وسنرقص غداً عند منتصف الليل في الاحتفال بمنزل الدوق ثيسبيوس ، ونباركه وندعو له بالخيرات . .

(١) القطرات التي يضعها أوبيرون في عيني تيتانيا هي من عصارة زهرة تباركها ديانا إلهة العفة ، ولها القدرة على إزالة الغشاوة عن أعين المحبين . فديانا هي عدوة كيوييد الذي يوقع الناس في شرك الغرام ، فتأتي ديانا لتخلصهم منه .

(٢) يقصد العشاق الأربعة بالإضافة إلى بوتوم .

وسيكون بالحفل هؤلاء العشاق الأوفياء ، الذين سيعقد قرانهم في نفس الوقت مع ثيسبيوس ، في جو من الجور والإنشراح .

بـك : صَـة يا ملك الجن فإني أسمع صوت قبرة الصباح .

أوبيرون : فلننسحب إذن أى ملكتي في صمت مع إنحسار ظلمات الليل . وإنه لبوسعنا أن ندور حول كوكب الأرض بأسرع من دوران القمر في مداره .

تيتانيا : هيا يا مولاي . ولتخترني أثناء إنصرافنا كيف حدث أن وجدتي هذه الليلة راقدة على الأرض مع هؤلاء الآدميين الفانين .

(ينصرفون)

(صوت أبواق . يدخل ثيسبيوس وهيبوليتا وإيجيوس مع أتباعهم)

ثيسبيوس : فليذهب أحدكم ليبحث عن حارس الغابة . . قد فرغنا الآن من الطقوس^(١) . وما دام النهار كله أمامنا فلانعم مع حبيبتي برحلة صيد . أطلقوا سراح كلابنا بالوادي الغربي . أسرعوا ، وإبحثوا عن حارس الغابة . . أما نحن يا ملكتي الجميلة فسنرقى قمة الجبل ونستمع هناك إلى إختلاط نباح الكلاب مع أصداؤه .

هيبوليتا : كنت ذات مرة مع هرقل وكاداموس في إحدى غابات جزيرة كريت ، حين حاصرت كلابهم الإسبرطية دبا من الدببة . . سمعت يوماً نباحاً لم أسمع مثيلاً له من قبل ، نباح رددته الأجنات والسهاء والنافورات وكل بقعة قريبة من المكان ، فاختلطت الأصداة في صرخة قوية واحدة ، أو هي الموسيقى النشاز أو قصف الرعد الرخيم . .

ثيسبيوس : كلابي هي أيضاً من سلالة إسبرطية ، عظيمة الفكين ، رملية اللون ، ولها أذنان تنفضان بهما ما هبط عليهما من طل الصباح ، وأرجل مقوسة ، وجلد يتهدل من عنقها شأن ثيران ثيساليا ، بطيئة في عدوها ،

(١) طقوس قديمة يجتمع العشاق بمقتضاها ليراقبوا مطلع الفجر في عيد أول مايو .

غير أن نباحها مختلف الطبقات ، ذو عذوبة لا نلمسها في نباح كلاب كريت أو إسبرطة أو نيساليا . . ولتحكمي بنفسك حين تسمعيه . . ولكن ، صَـة ! أئى جَنَ يرقد هنا ؟

إيجيوس : مولاي ، هذه إبنتى نائمة هنا ، وهذا ليساندرو ، وهذا ديميتريوس ، وهذه هيلينا إبنة نيدار العجوز . ليت شعري كيف التقوا معا في هذا المكان ؟

نيسوس : لإبَدَ أنهم استيقظوا في ساعة مبكرة للاحتفال مثلنا بمطلع الفجر وأداء طقوس عيد أول مايو ، وأن يكونوا قد علموا بنبتنا الخروج فجاءوا لإستقبالنا . . . ولكن ، خبرني يا إيجيوس ، أليس اليوم هو اليوم المحدد لإدلاء هيرميا برذها وقرارها ؟

إيجيوس : أجل يا مولاي .

نيسوس : لتطلب من الصيادين أن يوقظوهم بصوت أبواقهم .

(صوت أبواق - يستيقظ العشاق من سباتهم)

نَعَم صباحكم أيها الأصدقاء . لقد إنقضى عيد القديس فالنتين منذ أمد بعيد ^(١) ، وأنتم تبدأون سفاذكم الآن ؟! أئى نوع من طيور الغابة أنتم ؟!

ليساندرو : عفواً يا مولاي .

نيسوس : هبوا جميعاً واقفين . . أنا أعلم أنكم عدوان متنافسان . فكيف حدث إذن أن توافقتما بحيث تسمح الكراهية والغيرة للتنافسين بأن يرقدا جنباً إلى جنب دون أن يخشى كل منهما جانب الآخر ؟

ليساندرو : أجيبك يا مولاي وأنا في حيرة من أمرى وبين النوم واليقظة . ومع ذلك فأكاد أقسم أنى لا أعلم كيف جثت إلى هنا . إنه الصدق ما أقول ، غير أنى قد بدأت الآن أتذكر أننى . . . نعم ، أننى جثت إلى هنا مع

(١) عيدٌ يُحتفل به يوم ١٤ فبراير من كل عام ، ويقال إن الطيور فيه تختار أزواجها في موسم التناسل .

هيرميا . وكان قصدنا أن نترك أثينا إلى مكان لا سلطان لقوانينها عليه ، وأن . . .

إيجيوس : يكفى هذا يا مولاي . . في قوله ما فيه الكفاية . . فلتنزل به العقوبة الواردة في القانون . . كانا يا ديميتريوس يعتزمان الفرار حتى يفسد عليك وعملُ خططنا ، بأن مجرمناك من الزوجة ، ويجرماني من حقى في الموافقة ، موافقتى على أن تكون إبنتى زوجة لك .

ديميتريوس : مولاي . لقد أطلعنى هيلينا الجميلة على سرِّ إعترافها الحرب ، ونيتها التوجّه إلى هذه الغابة . وقد تبعتها إليها وأنا في غضب شديد ، وتبعتنى هيلينا الجميلة لحبها لى . . . غير أنى يا مولاي لا أعلم أئى قوة تلك - فلا شك أن ثمة قوة ما - تلك التى تسببت في أن يذوب حبى لهرميا كما تذوب الثلوج ، بحيث يبدو لى هذا الحب الآن كذكرك دُمية لا جدوى منها كنت أحبها في طفولتى أشدَّ الحب . . أما وفائى وهوى . ومصدر سعادتى وهنائى ، فهيلينا وحدها . لقد كنتُ يا مولاي خطيبها قبل أن أرى هيرميا . وكما أن المرء في حال مرضه قد يكره هذا الطعام أو ذاك ، حتى إذا ما إستردَّ عافيته عاد إلى إشتهائه ، فكذا الحال معى . قد بثَّ إشتهيها وأهواها وأشتاق إليها ، وسأكون وفياً لها إلى أبد الأبدنين .

نيسوس : وإنه لمن حسن الطالع أن تقابلكم هنا أيها العشاق الأوفياء . ستحدث في هذا الأمر فيما بعد بتفصيل أو فئ . . إيجيوس ! لتكن لإرادتى اليد العليا لا لإرادتك . ففى المعبد سيحتفل هؤلاء بزواجهم وقت إحتفال بزواجى . وحيث أن الصباح قد إنقضت الآن منه عدة ساعات ، فلن نقوم برحلة الصيد المعتمة . فلنعد معا إلى أثينا : ثلاثة رجال وثلاث حسناوات ، يشتركون جميعاً في أجمل الاحتفالات .

(يخرج نيسوس وهيلينا وإيجيوس وأتباعهم)

ديميتريوس : قد اختلطت عندى أحداث الليلة الماضية وأحداث الصباح كما تمتزج الجبال البعيدة بالسحب في السماء .

الفصل الرابع

المشهد الثاني

منزل كوينس في أثينا

(يدخل كوينس ، وفلوت ، وسناوت ، وستار فلينج)

كوينس : هل بعثتم أحداً إلى منزل بوتوم ؟ هل عاد إلى داره ؟

ستار فلينج : لم يسمع أحد خبراً عنه ، ولا شك في أنه قد مُسَخ .

فلوت : إن لم يعد ذهبت تمثيلتنا أدراج الرياح . فنحن لن نمثلها إن هو لم يعد ، أليس كذلك ؟

كوينس : لا . لن يكون ذلك بالإمكان . فما من رجل واحد في أثينا كلها له قدرة بوتوم على أداء دور بيراموس .

فلوت : معك حق . فالرجل يتمتع بعقل لن تجد نظيراً له بين العمال في أية صناعة في أثينا .

كوينس : أجل . ولا نظير أيضاً لشخصيته أو صوته . إنه نموذجٌ يُحتَزَى .

فلوت : تقصد « نموذجٌ يُحتذى » . فنموذجٌ يُحتزى ، ولا مؤاخذه ، خطأ .
(يدخل شنج)

شَـنْج : أيها السادة ، قد ترك الدوق المعبود ومعه إثنان أو ثلاثة من الأزواج قد عقدوا قرائنهم هم أيضاً . لو كنا قد مثلنا تمثيلتنا أمامه لطارت شهرتنا في الآفاق .

هيرميا : يُبَيِّأُ لي أنني إننا انظر إلى هذه الأمور من خلال ضباب كثيف ، بحيث يبدو كل شيء مزدوجاً في عيني .

هيلينا : وكذا الحال معي . . . فأننا إننا عثرت على ديميتريوس عثوري على جوهرة لا أدري أهي لي أم لا .

ديميتريوس : أواثقون أنتم من أننا أيقاظ ؟ يبدو لي وكأننا نحن لا نزال في نومنا نحلم . . . هل كان الدوق هنا حقاً وطلب منا أن نتبعه ؟

هيرميا : أجل ، وكان والذي معه .

هيلينا : وهيوليتا أيضاً .

ليساندر : وأمرنا أن نتبعه إلى المعبد .

ديميتريوس : فنحن أيقاظ إذن ! لننتبعه ، وليقص كل منا أثناء الطريق ما رآه من أحلام . (يخرج العشاق)

بوتوم : (يستيقظ من نومه) نادوا علي حين يبيئ دوري وسأجيب . سأجيب حين تقول تيسبي « أي بيراموس الوسيم » . . . هاى ! هو ! بيتري كوينس ! فلوت يا مصلح المنافع ! سناوت يا سكرى ! ستارفلينج ! يا إلهي ! تسللوا من المكان وتكوني نائماً ! . . . رأيْتُ في منامي أغرب حلم في الوجود . حلم لن يكون بوسع مخلوق أن يفشره ، والجحش وحده الذى سيدعى القدرة على تفسيره . . . حلمت أنني . . . شيء لن يدور بخلد إنسان . . . حلمت أنني وحلمت أن لي . . . غير أن الأحق وحده هو الذى سيدعى معرفة ما كان لي . . . فما سمعت عينٌ إنسان ، ولا رأت أذنٌ إنسان ، ولا ذقت يدٌ إنسان ، ولا فهم لسانٌ إنسان ، ولا تكلم قلبٌ إنسان ، بمثل ما رأيته في المنام . . . سأطلب من بيتري كوينس أن ينظم قصيدة غنائية عن هذا الحلم ، وسنسميها « حلم بوتوم » ، فهو حلم لا قعر له ولا قاع^(١) . وسأغنى القصيدة في الجزء الأخير من التمثيلية أمام الدوق . وربما غنتها لحظة وفاة تيسبي حتى تكون لها مناسبة . (يخرج)

(١) تعنى كلمة بوتوم بالإنجليزية القعر أو القاع .

فلوت : أسفى عليك يا بولى بوتوم ! لولا إلغاء التمثيلية لأمروا لك بستة بنسات
عن كل يوم مدى الحياة . فالمؤكد أنه كان سينالها ، وليس إسمى فلوت
إن لم يكن من المؤكد أن الدوق كان سيأمر له بستة بنسات عن كل يوم
مدى الحياة ، مكافأة له على أدائه دور بيراموس . وكان الرجل حقًا
يستحقها . إما ستة بنسات أو لا شىء مقابل أداء دور بيراموس .

(يدخل بوتوم)

بوتوم : أين أنتم يا رجال ؟ أين أنتم يا أصدقاء ؟

كوينس : بوتوم ! ألا ما أسعده من يوم ! ألا ما أسعدها من ساعة !

بوتوم : آه يا ساده ! لندى قصة ملئها العجب العُجَاب . ولكن لا تطلبوا منى
أن أرويه لكم . ولعنة الله على إن أنا رويتها لكم . ومع ذلك فسأرويها
لكم ، وبكل تفاصيلها ، وكما وقعت بالضبط .

كوينس : هيا ازوها لنا يا بوتوم العزيز .

بوتوم : لن أنطق بكلمة . كل ما سأقوله لكم هو أن الدوق قد فرغ من عشائه .
فهيّا إجمعوا ملابس التمثيل ، وخبوطا قوية لتركيب اللحى فى الوجه ،
وأربطة جديدة لنعالكم ، ولتتقابل لتوّتا عند القصر . وليراجع كل فرد
منكم دوره . فخلاصة القول أن تمثيلتنا قد وقع عليها الاختيار . وعلى
أى الأحوال فلا بدّ لئيسبى من ملابس نظيفة . وليحذر من سيقوم بدور
الأسد من أن يقلّم أظافره ، فهى التى سيرزها باعتبارها مغالب الأسد .
ورجائى الحار أيها الممثلون الأعزاء أن تمتنعوا عن أكل البصل والثوم .
فأنفاسنا ينبغى أن تكون لذيدة الرائحة أثناء الإلقاء ، حتى نسمعهم
يقولون إنها كوميديا لذيدة . ثم لا كلام بعد هذا فهيّا بنا إذن . هيّا !

الفصل الخامس

المشهد الأول القصر في أثينا

(يدخل ثيسوس ، وهيوليتا ، وفيلوسترات ، وبعض الأتباع)

هيوليتا : ما أغرب ما يرويه هؤلاء العشاق من حديث !

ثيسوس : غرابته أشد من صدقه . فليس بوسعى أن أصدق هذه الخرافات القديمة أو هذه الأحاديث الساذجة عن الجن . إن للعشاق والمجانين عقولاً متهيّجة ومخيلات غريبة تمكّنهم من رؤية ما لا يراه العقل الهادئ . فالمجنون والعاشق والشاعر لهم نفس الصنف من المخيلة . أحدهم يرى من الشياطين ما ليس بوسع الجحيم أن يحتويه ؛ وهذا هو المجنون . أما العاشق - وهو في مثل تهيّجه - فقد يرى جمالاً كجمال هيلين في وجه غجرية من مصر . وأما الشاعر فهو في نوبات جنونه ينقل بصره من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء ، فتصوّر له مخيلته أشكال أشياء غير معروفة أو مألوفة ، ويستطيع بقلمه أن يُجسّد ما وأن يخلق من لا شيء شيئاً يُسميه . وللمخيلة القوية حيّلها ؛ فهي إن توقّعت سعادة خالت هذا الشخص أو ذاك قد جاء إليها بالخبر السعيد . وإن توقّعت شراً كان من السهل عليها أن ترى في الليل في كل شجرة دّباً مفترساً !

هيوليتا : غير أن إجماعهم على رواية أحداث الليل على نحو واحد ، ومرورهم جميعاً

بنفس التجربة يشهدان على أن بالأمر أكثر من مجرد أوهام ، وأنه حقيقة رغم غرابته المذهلة .

(يدخل ليساندر وديميتريوس وهيرميا وهيلينا)

ثيسوس : ها هم العشاق قد أقبلوا وقد غمرتهم السعادة والفرح .. غمر الله قلوبكم أيها الأصدقاء الأعزاء بالحبور ، ومدّ في أيام حبّكم .

ليساندر : وشمل قصرك ومتنزهاتك ومادّتك وفراشك بسعادة يفوق قدرها قدر سعادتنا .

ثيسوس : والآن ، أية تسليات أو تمثليات أو رقصات قد تم إعدادها لنا حتى نقطع الساعات الثلاث الطويلة ما بين العشاء ووقت النوم ؟ أين المشرف على تنظيم الاحتفالات ؟ أية تسليات قد أعدت ؟ أمّا هناك من تمثيلية تخفّف من وطأة عذاب الساعات المتبقّية ؟ نادوا فيلوسترات .

فيلوسترات : هنا أي ثيسوس العظيم .

ثيسوس : خبّرنا بتسليات هذا المساء . أسيكون هناك رقص ، أم موسيقى ؟ أم ثمة تسلية أخرى تزيل إحساننا ببطء مرور الوقت ؟

فيلوسترات : ها هي قائمة بما أعدّ من تسليات . فلتختّر سموّك ما تريدنا أن نبدأ به .

ثيسوس : (يتناول القائمة منه ويقرأ) « الحرب مع القنطور : ^(١) أغنية يغنيها خصيّ أثيني على أنغام القيثارة » . . . لا نريد هذا ، فقد سبق أن رويت لحبيبتى هذه القصة عن أمجاد قريبى هرقل . . . (يقرأ) تمرد السكارى من تابعات باخوس ^(٢) ، وكيف مزقن إربا في سورة غضبهن مغنّيا من إقليم ثراسيا ^(٣) » . . . قد شاهدنا هذا من

(١) القنطور : كائن خرافي نصفه رجل ونصفه فرس .

(٢) باخوس : إله الخمر .

(٣) ثراسيا : إقليم في الجنوب الشرقي من البلقان . والمقصود بالمغنى هنا هو أورفيوس .

قبل عند عرضه بعد عودتي ظافراً من طيبة . . . (يقرأ) « إلهات الفنون التسع يعين احتضار الثقافة التي توفّيت مؤخرًا في حال من الفقر والإملاق » . . . لا بدّ أنها إحدى السخريات اللاذعة الناقدة مما لا يليق بحفل زفاف . . . (يقرأ) « منظر تمّل قصير عن بيراموس الشاب وحبيته تيسبي ، وهى كوميديا مأساوية للغاية » . . . ماهذا ؟ كوميديا ومأساوية ؟ مملّة وقصيرة ؟ إنه الجليد الساخن إذن ، والتلج اللافح ! كيف نفهم هذا اللغو غير المفهوم ؟

فيلوسترات : هناك بالفعل تمثيلية يا مولاي من عشر كلمات ، هي أقصر ما عرفته من تمثليات . وهى مع ذلك أطول من اللازم بعشر كلمات ، وهو ما يجعلها مملّة . إذ ليست بالمرحية كلها كلمة ذكية واحدة ، ولا ممثل مناسب لدوه . . . هي مأساوية بالفعل أى مولاي النبيل ، فيراموس فيها يقتل نفسه ، وهو منظر ما شاهدته والممثلون يمتزّون عليه حتى إغرورت عيني بالدموع . ولكنها دموع الضحك والقهقهات العالية مما لم يخبر الناس لها مثيلاً !

ثيسوس : ومن هم الممثلون فيها ؟

فيلوسترات : عمالُ حُشْنو الأيدي يعملون هنا في أثينا ، ممن لم يفكروا في تشغيل عقولهم حتى اليوم . غير أنهم الآن قد شجّحو ذاكرتهم غير المدرّبة حتى يقدّموا هذه المسرحية في الاحتفال بزفافك .

ثيسوس : سنستمعها منهم .

فيلوسترات : لا يا مولاي أرجوك . إنها لا تليق بك . لقد حضرتها فوجدتها محض هراء . عبث ولغو . . . هذا ما لم تكن بك رغبة في السخرية بما بذلوه من جهد شاق في حفظ أدوارهم وأدائها من أجل تمثيلها أمامك .

ثيسوس : سأستمع إلى تلك المسرحية . إذ لاغصاضة من شىء نابع عن براءة وإخلاص وإحساس بالواجب . أحضرهم هنا . . . ولتأخذ السيدات أماكنهن .

(يخرج فيلوسترات)

هيوليتا : لا أطيق منظر البسطاء يحاولون القيام بها لا طاقة لهم به عن مجرد إحساس خاطئ منهم بالواجب .

ثيسوس : ولكنك يا حبيبتي لن تشاهدى شيئا من هذا القليل .

هيوليتا : يقول إنهم لا يفهمون شيئا في باب التمثيل .

ثيسوس : سيكون فضلنا إذن مضاعفا إن نحن شكرناهم على شيء لا قيمة له ، وستكون متعنتا في تقبّل أخطائهم بصدر رحب . فالإنسان النبيل إنما يحكم على عرض من هذا النوع على ضوء الجهد الذى بُذل فيه لا القيمة الحقيقية له . . أذكر أننى عند وصولي ، علمت أن بعض العلماء أعدوا لاستقبال خطبائي بذلوا في كتابتها جهدا كبيرا . فما وقفوا لتلاوتها أمامي حتى ارتعدت أبدانهم وشحبت وجوههم ، وصاروا يتوقفون في منتصف الجمل وقد عقدت الرهبة ألسنتهم ، ويتلثمون في نطق ما أتقنوا إعداده ، ثم إذا هم يتوقفون تماما دون إتمام خطب الترحيب . . صدّقيني يا حبيبتي حين أقول إننى لمست حينئذ الترحيب حتى في سكوتهم ، ولمست في تلثمهم الناجم عن رهبة أداء الواجب نية طيبة لا ألسها في خطبة طنانة يلقيها خطيب جرىء بليغ . ولذا فإني أعتقد أن الكلمات النابعة عن المحبة والإخلاص هي التي تصل إلى القلب حتى إن تلثم قائلها في النطق بها .

(يدخل فيلوسترات)

فيلوسترات : مولاي ، مُقدّم التمثيلية مستعدّ للبدء .

ثيسوس : دعه يدخل .

(صوت أبواب - يدخل كوينس لإلقاء المقدمة)

كوينس : إن نحن أخطأنا أو ضايقنا أحدا فهذا قصدنا . نوصّحه لكم أملنا أن تتفوا في أننا لم نقدم . لنضايقكم وإنا عن حسن نية . لإظهار مواهبنا المتواضعة ، هذه هي غايتنا الحقيقية . فتفوا إذن أن الغرض الحقيقي

من قدومنا وما قدومنا . للاستخفاف بكم وإهانتكم هو إرضائكم . ولإدخال السرور إلى قلوبكم لسانا هنا . لإشعاركم بالندم على مشاهدة تمثيلتنا المثلون جاهزون ^(١) . وستفهمون من تمثيلهم كل المعاني التي قصدها المؤلف .

ثيسوس : هذا الرجل لا يلقى بالا على الإطلاق إلى ترقيم الجمل .

ليساندر : كان في قراءته للمقدمة المهر الساذج لا يدري أين ينبغي أن يتوقف . والمغزى من ذلك يا مولاي أنه لا يكفي المرء أن يتكلم ، بل المهم أن يتكلم جيدا .

هيوليتا : لقد قرأ مقدمته كما يعزف الطفل على الفلوت : أصوات ولا موسيقى .

ثيسوس : كان حديثه كسلسلة الحديد المتشابكة المعقدة : لم يلحقها ضرر وإن صُعب حلّها . . من يأتي بعده ؟

(يدخل بيراموس وثيسبي والحائط وضوء القمر والأسد)

كوينس : قد تتساءلون أيها السيدات والسادة الكرام عن موضوع تمثيلتنا . . فلتتساهلوا كما يعنّ لكم حتى يتضح لكم مغزاها وبجراها .

فإن شئتم معرفة اسم هذا الرجل ، فإسمه بيراموس . أما هذه السيدة الجميلة فالموكّد أنها ثيسبي . وهذا الرجل الذى يعلو ملابسه الجير وتخشينة الطلاء فيمثل الحائط ، ذلك الحائط الشرير الذى كان يفصل ويفرق بين الحبيين ، والذى كان المسكينان قانعين بالتحادث عبر شقّ

(١) في استخدام كوينس للفواصل اضطراب شديد يفسد المعنى وقد يعكسه . والترقيم الصحيح للنص هو كالتالي :

« إن نحن أخطأنا أو ضايقنا أحدا ، فهذا قصدنا نوصّحه لكم : أملنا أن تتفوا في أننا لم نقدم لنضايقكم ، وإنا ، عن حسن نية ، لإظهار مواهبنا المتواضعة . . هذه هي غايتنا الحقيقية . فتفوا إذن أن الغرض الحقيقي من قدومنا ، (وما قدومنا للاستخفاف بكم وإهانتكم) هو إرضائكم ، ولإدخال السرور إلى قلوبكم . . لسانا هنا لإشعاركم بالندم على مشاهدة تمثيلتنا . . المثلون جاهزون » .

فيه . فحدث إذن ولا حرج . أما هذا الرجل الذى يحمل القنديل وحزمة من العصى ويتبعه كلب ، فيمثل ضوء القمر . ذلك أن العاشقين كانا يلتقيان في ضوء القمر عند مقبرة نينوس حتى يبت كل منهما للأخر هواء . . أما هذا الحيوان الرهيب فهو الأسد . هو الأسد الذى أخاف ثيسى حين خرجت إلى الموعد ليلاً . وإذ فرت من الأسد ، سقطت منها عباءتها أثناء الفرار فجاء الأسد ولوث العباءة بفمه الدامى . . ثم يأتى بيراموس ، ذلك الشاب الودود طويل القامة ، يفرى عباءة ثيسى ملطخة بالدماء ، فيحسب أن الأسد إفترسها ، ويطعن صدره الحزين بسيفه الدموى في شجاعة عظيمة . وبعد أن انتظرت ثيسى بعض الوقت تحت شجرة توت ، عادت إليه فوجدته صريعاً فاستلّت خنجره وانتحرت به . . . غير أنى سأترك الآن العاشقين والحائط وضوء القمر والأسد ليصوّروا لكم الأحداث بالتفصيل .

(يخرج الجميع فيما عدا الحائط الذى يمثلُه سنوات)

ثيسوس : ترى هل سيتكلم الأسد ؟

ديميتريوس : إن كانت هذه الحمير تتكلم يا مولاي فلا عجب أن يتكلم الأسد .

الحائط : في هذه التمثيلية القصيرة لعب أنا ، وإسمى الحقيقى سنوات ، دور الحائط . وفي هذا الحائط - كما قيل لكم - حُرِمَ أو شقّ يتحدث عبره المحبان ، بيراموس وثيسى ، ويتهايمان بأسرارهما . أما هذا الجير وتحشينة الطلاء على ملابسى ، وهذه الحجرية في يدي ، فتوضّح أننى الحائط المشار إليه . وأما هاذان الإصبعان المنفرجان في يدي فيمثلان الشق الرهيب الذى حدّثكم عنه ، والذى يتهايمس عبره العاشقان الوجلان .

ثيسوس : أكنتم تتوقعون مثل هذه الفصاحة من جير وتحشينة ؟

ديميتريوس : إنه لأفصح حائط سمعته في حياتي يتكلم يا مولاي .

ثيسوس : ها هو بيراموس يقترب من الحائط . . سكوت !

(يدخل بيراموس الذى يمثلُه بوتوم)

بيراموس : أيها الليل البهيم ! أيها الليل حالك الظلمات ! أيها الليل الذى يعقب النهار ! آه منك يا ليل ، آه منك ، آه منك . إني لأخشى أن تكون ثيسى قد أخلفت وعدها . . وأنت أيها الحائط ، أيها الحائط الطيب الجميل الذى تفصل بين أرض أبيها وأرض أبى ! أنت أيها الحائط ، أيها الحائط ، أيها الحائط الطيب الجميل ! أين الشقّ فيك حتى انظر بعيني من خلاله ؟ شكراً أيها الحائط المهدّب ، وعسى أن يحسن الله جزاءك على هذا المعروف . ولكن ، من ذا هناك ؟ لا . ليست ثيسى . أيها الحائط الشرير الذى لا يريد لي الهناء . ملعونة أحجارك تلك التى غرّزت بعينى !

ثيسوس : ما دام الحائط قادراً على التعبير عن نفسه ، فمن واجبه أن يرّد على هذه الإهانة .

بيراموس : لا يا مولاي ، ليس من حقّه أن يرّد الآن . فجملة « غرّزت بعينى » هي الإشارة لثيسى بالدخول . ستدخل الآن فألمحها من خلال الحائط . وسترى يا مولاي بنفسك أن هذا بالضبط هو ما سيحدث . . ها هي ذى قد أقبلت .

(تدخل ثيسى التى يمثل فلوت دورها)

ثيسى : أيها الحائط ! مراراً وتكراراً سمعت أنبنى وشكواى من أنك تفصل بين حبيبى الوسيم بيراموس وبينى . . لطالما قبلت أحجارك بشفتى الشبهتين بالكرز ، تلك الأحجار المدهونة بالجير وتحشينة الطلاء .

بيراموس : أرى صوتاً . . سامضى لتوى إلى الشق حتى أسمع وجه ثيسى . . . ثيسى ؟

ثيسى : حبيبى ! . أظن المتكلم حبيبى .

بيراموس : ظنّني كما شئت . فأنا حبيبك الذى يباثل وفاؤه وفاء لبياندر .

ثيسبى : وسأظل إلى الموت وفيّ لك وفاء هيلين لحبيبها .

بيراموس : ما كان وفاء شفالوس لبروكروس كوفائي لك .

ثيسبى : ووفائي لك كوفاء شفا لوس لبروكروس (١) .

بيراموس : قتليني عبر الحُرْم في هذا الحائط اللعين .

ثيسبى : ما أرأى قبلتُ غير شق الحائط لا شفتيك .

بيراموس : قابلينى إذن للتو عند مقبرة نينى .

ثيسبى : سأتحذى الحياة والموت وأقابلك لتؤبى .

(يخرج بيراموس وثيسبى)

الحائط : وهكذا أكون ، أنا الحائط ، قد أدّيت دورى . وإذ انتهى هذا الدور فإن الحائط يتسلّل خارجاً .

(يخرج)

ثيسبوس : قد زال الحائط إذن بين الدارين .

ديميتريوس : المشكلة لا تزال قائمة يا مولاي . فما دامت للحيطان أذان فسيظل بوسعها أن تسمع أسرارها حتى من على بعد .

هيوليتا : لم أر في حياتي ما هو في سخافة هذه التمثيلية .

ثيسبوس : ما خير التمثيليات إلا خيال زائف ، وما أسوأها بأسوء من خيرها متى إستعان المتفرج بمخيّلتِه لإكمال نقص الأداء .

هيوليتا : هي مخيّلتك إذن التى يُعتدُّ بها لا مخيّلة الممثلين .

ثيسبوس : ولو كان رأينا فيهم كرايمهم في أنفسهم لخُلناهم رجالاً عظاماً . . .
وهذان وحشان آخران قد أقبلّا . رجل وأسد .

(يدخل الأسد ، ويمثله شبح ، وضوء القمر ، ويمثله ستار فلينج)

الأسد : أيتها السيدات ، يا من تنفطر قلوبهن الرقيقة من الخوف لرؤية أصغر فأر متوحش يجرى على الأرض ، قد تنزعجن الآن هنا وترتعدن أبدانكن حين تسمعن زئير الأسد المفترس الغاضب . غير أنى أبادر فأطمئكنم ، فأنا سناوت النجار ، ألعب دور أسد فتاك . . أسد لا يجرد لبوة . وفَتاك لو أنى صارعتُ أحداً هنا ، لغدا المنظر لعمرى غيماً رهيباً .

ثيسبوس : وإنه لعمرى أسدٌ رقيقٌ للغاية ، وذو ضمير حتى .

ديميتريوس : ألطف أسد شاهدته في حياتي يا مولاي .

ليساندر : كمثل الثعلب في شجاعته .

ثيسبوس : وكمثل الأوزة في حكمتها .

ديميتريوس : لا يا مولاي . فالشجاعة لا يمكنها أن تطفئ على الحكمة كما يطفئ الثعلب على الأوزة .

ثيسبوس : والمؤكد عندي أن الحكمة لا يمكنها أن تنهض بعبء الشجاعة ، كما لا يمكن للأوزة أن تنهض وافية والثعلب يعتليها . . ولكن كفى . .
فلترك كل هذا لحكمته ، ولنستمع الآن إلى القمر .

ضوء القمر : هذا القنديل يمثل القمر ذا القرنين (١) .

ديميتريوس : كان من الأفضل لو أنه ليس على جبينه القرنين .

ثيسبوس : ما هو بالهلال ، وإنها هو بدر قد اختفت قرونها في محيط دائرتها .

ضوء القمر : هذا القنديل يمثل القمر ذا القرنين . وأما عنى فأمثلُ إنسان القمر .

ثيسبوس : هذه أكبر غلطة في التمثيلية حتى الآن . فإن كان هو إنسان القمر ، فالواجب أن يكون داخل القنديل لا خارجه .

ديميتريوس : هو لا يجرؤ على الدخول ، فالشمعة فيه موقدة ، إن دخل أطفأها .

هيوليتا : قد ستمت هذا القمر وبدأت أدعو أن يغيب .

(١) معنى الهلال .

(١) اختلط الأمر على بيراموس وثيسبى . فالقصد هنا هم لبياندر (لا ليساندر) وحبيبتة هيرو (لا هيلين) ، وشفالوس (لا شفالوس) وحبيبتة بروكريس (لا بروكروس) . كما ظنّت ثيسبى أن شفالوس هو المرأة .

ثيسوس : على أى حال فإن ذكاء المحدود يوحى بأنه على وشك الأفول .

ومع كل هذا فإن دواعى الأدب تلزمنا بالبقاء حتى النهاية .

ليساندو : واصل حديثك يا قمر .

ضوء القمر : كل ما على أن أقوله هو أن هذا القنديل يمثل القمر ، وإنى أمثل

إنسان القمر ، وهذه العصى هى عصيتي ، وهذا الكلب كلبى .

ديميتريوس : كل هذا ينبغي أن يكون داخل القنديل ، فكلها فى القمر .. ولكن ، صة ! فها هى ثيسى تدخل .

(تدخل ثيسى)

ثيسى : ها هى مقبرة نينى . فأين حبيبى إذن ؟

الأسد : (يزار) أووو .

(ثيسى تلوذ بالفرار)

ديميتريوس : حسنا زارت يا أسد .

ثيسوس : حسنا عذوت يا ثيسى .

هيوليتا : حسنا سطعت يا قمر .. أقسم أنه يسقط فى رشاقة بديعة .

(يعض الأسد عباءة ثيسى)

ثيسوس : حسنا عضضت يا أسد .

ديميتريوس : ثم يأتى بيراموس .

(يخرج الأسد)

ليساندر : وهكذا يختفى الأسد .

(يدخل بيراموس)

بيراموس : أيتها القمر الجميل ، إنى لشديد الإمتنان لإرسالك هذه الأشعة

الشمسية .. أشكرك أيتها القمر على ما استطع به الآن من ضوء باهر ،

إذ سيمكّننى هذا الضوء الكريم الذهبى المتلألئ من رؤية وجه ثيسى

فى وضوح وجلاء .

ولكن ما هذا ؟ يا للهلول ! انظر أيتها الفارس المسكين ،

تطلع إلى هذا المنظر المفجع الأليم .

أترأه عيناك ؟ كيف حدثت هذه المصيبة ؟

آه يا بطنى ! آه أيتها الحبيبة !

عباءتك الجميلة البيضاء

أراها ملطخة بالدماء .

تعالى يا أرواح الثار ، وأنت أيتها الأقدار

واعصنى عصفاً بالشريرين والأبرار .

إسمعى وعصى

دَمَرى واقمعى

كسرى واسحقى

هشمى واحرقى .

ثيسوس : هذه العاطفة القوية وموت صديق عزيز قد يثيران فى المرء إحساساً يشبه الحزن .

هيوليتا : أقسم أنى قد بت أشفق على الرجل .

بيراموس : لم خلقت الأسود أيتها الطبيعة

وقد قتل الأسد الشرير حبيبتى الوديدة ؟

فتاة هى - لا ، لا ، بل فتاة كانت أجمل الفتيات ،

عاشت وأحبّت وهوت ووجهها تعلوه البسات ..

فيضى أيتها الدموع ، وتعال أيتها السيف البتار

فاطعن صدر بيراموس ، هنا ، إلى اليسار

حيث يخفق القلب ... وهكذا أموت .

هكذا .. هكذا .. هكذا ..

والآن قدِمْتُ وفارقتُ روحى الجسد

صاعدة إلى السماء .. فليغب ضوء اللسان ،

وليسكت القمر عن الكلام .

(يخرج ضوء القمر)

والآن أموت ، أموت ، أموت ، أموت ، أموت .

(يموت)

ديميتريوس : وهكذا يموت ، بسيفه الصّموت (١) .

ليساندر : وصار بموته نسيًا منسيًا بسبب ذلك الوحش .

ثيسوس : أنستدعى الطبيب ليعالج هذا الجحش ؟

هيوليتا : كيف يخرج ضوء القمر قبل أن تعود ثيسى وتعثر على حبيبها ؟

(تدخل ثيسى)

ثيسوس : ستجده على ضوء النجوم . . ها هي ذى ، وبالتعبير عن ألمها تنتهى التمثيلية .

هيوليتا : لا أظنها في حاجة إلى إطالة نعيها لمثل هذا الممثل ، وأمل أن يكون تعبيرها عن ألمها مختصرًا .

ديميتريوس : ليس بوسع أحد أن يقول أيها كان في التمثيل أفضل ، بيراموس أم ثيسى : فبيراموس الرجل كان مصيبة ، وثيسى المرأة كانت كارثة رهيبة .

ليساندر : ها هي وقدرات بعينها الجميلتين جثته .

ديميتريوس : وستلول بالبكاء ، كما سترون .

ثيسى : أناثم أنت يا حبيبى ومهجتى ؟

أم أنك ميتٌ يا هامتى ؟

قم يا بيراموس ، تكلم ، تكلم .

(١) السيف الصّموت : الباطر .

مالك صامتٌ كالأيكم ؟

أميتٌ أنت ؟ إذن فلا بد من مقبرة عميقة

تُخفى هاتين العينين الجميلتين عن أعين الخليقة .

وداعا إذن لهاتين الشفتين في لون أزهار السوسن البيضاء ،

ولهذا الأنف في لون حبات الكرز الحمراء ،

ولهذين الخدين الصفراوين في لون زهر الربيع .

وداعا وداعا ، أيها الرجل البديع .

إبكوا أيها العشاق ، من فتيان وفتيات ،

وإندبوا عينيه الخضراوين في لون الكُرّات .

وتعال إلى أيها القدر الرهيب

وبيديك الشاحبتين في لون الحليب

أغرقنى في بحر من الدماء القانية

بعد أن قضيت على حياة حبيبى الغالية . .

لا تنطق بكلمة أيها اللسان المجنون ،

وتعال إلى صدرى أيها السيف الخنون .

وداعًا إذن أيها الأصدقاء

ويا أيها الحلال الأوفياء

وانظروا ثيسى تنهار وتتداعى

وتقول : وداعًا ، وداعًا ، وداعًا .

ثيسوس : وبقي ضوء القمر والأسد للقيام بدفن الموتى .

ديميتريوس : أجل . والحائط أيضًا .

بوتسوم : لا يأسادة ، فقد أزلنا الحائط الذى كان يفصل بين دارى أبويهما . .

والآن ، هل تأذنون لنا بتلاوة الخاتمة ، أم تفضلون مشاهدة رقصة

إيطالية يؤديها إثنان من أعضاء فرقنا ؟

المشهد الثاني

مكان آخر بالقصر

(يدخل بك)

بـك : أما وقد هبط الليل فقد عاد الأسد الجائع يزأر

وعاد الذئب ينبع القمر

وها هو الفلاح وقد أنهى عمل اليوم

يُصدر الشخير أثناء النوم

والمدفئة قد خمد وميض جمراتها

وبومة الليل تطلق صرخاتها

فتجعل المريض في سهاده

يفكر في القبر وفي معاده .

قد هبط الليل والقبور إنشقت

والأرواح من جوفها قد خرجت

وفي ممرات فناء الكنيسة إنشرفت .

أما نحن الجن فتعدو إلى جوار الخيل

التي تحجز عربة مليكة الليل

هاربين من الشمس نريد الظلام

ثيسوس : لا داعى للخاتمة ، أرجوك . فتمثيليتكم ليست فى حاجة إلى الاعتذار، ولا اعتذار إن كان الممثلون كافة قد ماتوا وأضحى من المحال معاتبتهم . . . ولو أن كاتب هذه المسرحية كان قد قام بدور بيراموس ، وشق نفسه برباط ساق ثيسبى ، لكانت المسرحية تراجيديا ممتازة . . وهى ممتازة بالفعل ، وقد أحسنتم أداء أدوارها . هيا إعرضوا رقصتكم إذن ، وانسوا أمر الخاتمة .

(رقصة إيطالية ، يخرج بعدها بوتوم والعمال)

ها قد بلغنا منتصف الليل ، وهو الوقت الذى يختاره الجن للظهور . فليمض العشاق إلى فراشهم . ولا شك فى أننا سنستيقظ فى ساعة متأخرة من الصباح حيث أننا قد أطلنا السهر . كما أنه لا شك فى أن هذه التمثيلية الرديئة الحمقاء قد ساعدتنا على إحتيال بطء ساعات الليل . . فهيا إذن إلى الفراش أيها الأصدقاء الأعزاء . وسنحتفل على مدى أسبوعين بزيجاتنا السعيدة ، فنقضى الليالى فى احتفالات شتى وتسلية جديدة .

(يخرجون)

ترتفع فيه كما ترتفع الأحلام .

ولن نسمح لفأر أو لإنسان

بأن يزعج هذه الدار التي باركها الجان .

وقد أرسلوني بمكنسة أكتس بها التراب

ثم أكوّمه أكوامًا خلف الباب .

(يدخل أوبيرون وتيتانيا وأتباعهما)

أوبيرون : أضيئوا يا صفار الجن بشموعكم الدار

بعد أن انطفأت في مدافئها النار .

واخجلوا واقفروا في خفة الطيور

في تنقلها بين الأغصان والزهور

وشاركوني في غناء أنشودة بديعة

ترقصون على أنغامها بخطى سريعة .

تيتانيا : احفظوا أولا كلماتها

وردّوا نغماتها

ولتسلسك أيدينا

إذ ننشد أغانيها

وبرشاقة الجان

نبارك هذا المكان

(يغنون أغنية)

أوبيرون : ليطف كل منكم في أنحاء الدار

حتى مطلع النهار

ولنبداً بالدق وعروسه ندعو لها بالخيرات

واليمن والبركات

ولتسلسلها المنتظر بالخط السعيد

والعمر المديد .

وللأزواج الثلاثة في سعدهم

بأن يكون الوفاء دوما طابع حبيهم .

سائلين يد الطبيعة أن تُعفى أولادهم

من الوحوش التي تشبه أجسادهم

مثل الشفاه المشقوقة والندوب والشامات السوداء ،

مما يُحزن الآباء رؤيته في الأبناء .

تفرقوا إذن ، وانضموا بواجباتكم

مستخدمين هذا الطفل في مباركاتكم .

لا تتركوا غرفة واحدة من الغرفات

دون أن تُغرّقوها بالدعوات

وادعوا لصاحب الدار بالسرور

وبالسعادة والخير والخيور .

هيا إذن وأسرعوا أيها الصغار

وقابلوني عند مطلع النهار (١)

(يخرج الجميع عدا بك)

بـ : (مخاطب الجمهور)

إن لم تكن التمثيلية قد حظيت برضائكم

فرجائي الحار من جمّعكم

أن تتخيّلوا أنكم كنتم هنا نياما

وأن ما شاهدتموه كان رؤى وأحلاما

(١) ليذكر القارئ ما سبق أن ورد بالمقدمة من أن شكسبير ألفّت هذه المسرحية كي تمثل أثناء حفل زفاف . وواضح أن الداعي والعروسين مقصودون بهذه الدعوات .

واعتبروا موضوعها التافه الهزيل

في مقام الحُلم ، قدره ضئيل .

فلا تلوّمونا أيها السادة الكرام ، وغضّوا الطُرف عنها

وإن غفرتُم لنا جُنّا لكم بعدها بخير منها .

فإن كان الخط هذه المرة قد خان

فإنى أقسم لكم بشرف الجنان

أننا كى نتلافى أنياب الشعابين والنقد المريد

سنقدم تمثيلية أفضل بعد زمن قصير .

فإن لم نفعل فسمّوني بك الكذاب الأثيم .

طابت ليئتُك إذن أيها الجمهور الكريم .

وإن خَلَصْتُ نيتُكم تجاهنا فلا بأس من تصفيق

وستُصلِح من شأننا ، مخافة أن نبقى بغير صديق .

(يخرج)

ويليام شكسبير

١٥٦٤ - ١٦١٦

المسرحيات

- | | | | |
|------|--------------------------|------|-----------------------------------|
| ١٥٩٩ | ٢٠ - كما تحب | ١٥٩٢ | ١ - تيتوس أندرونيكوس |
| | ٢١ - زوجات ويندسور | ١٥٩٢ | ٢ - هنرى السادس (الجزء الأول) |
| ١٦٠٠ | المرحات | ١٥٩٢ | ٣ - هنرى السادس (الجزء الثانى) |
| ١٦٠٠ | ٢٢ - ترويلوس وكريسيدا | ١٥٩٢ | ٤ - هنرى السادس (الجزء الثالث) |
| ١٦٠١ | ٢٣ - هملت | ١٥٩٢ | ٥ - ريتشارد الثالث |
| ١٦٠١ | ٢٤ - الليلة الثانية عشرة | ١٥٩٣ | ٦ - كوميديا الأخطاء |
| ١٦٠٤ | ٢٥ - دقة بدقة | ١٥٩٣ | ٧ - ترويض السليطة |
| ١٦٠٤ | ٢٦ - عطيل | ١٥٩٤ | ٨ - سيّدان من فيرونا |
| ١٦٠٤ | ٢٧ - الأمور بخواتيمها | ١٥٩٤ | ٩ - خاب مسعى العشاق |
| ١٦٠٦ | ٢٨ - مكبث | ١٥٩٤ | ١٠ - روميو وجوليت |
| ١٦٠٦ | ٢٩ - الملك لير | ١٥٩٥ | ١١ - ريتشارد الثانى |
| ١٦٠٧ | ٣٠ - أنطونيو وكليوباترا | ١٥٩٥ | ١٢ - حلم ليلة في منتصف الصيف |
| ١٦٠٧ | ٣١ - تيمون الأثينى | ١٥٩٦ | ١٣ - الملك جون |
| ١٦٠٧ | ٣٢ - كوريولانوس | ١٥٩٦ | ١٤ - تاجر البندقية |
| ١٦٠٨ | ٣٣ - بيريكليس | ١٥٩٧ | ١٥ - هنرى الرابع (الجزء الأول) |
| ١٦١٠ | ٣٤ - سيمبيلين | ١٥٩٨ | ١٦ - هنرى الرابع (الجزء الثانى) |
| ١٦١١ | ٣٥ - قصة الشتاء | ١٥٩٨ | ١٧ - جمعية بلاطحن |
| ١٦١١ | ٣٦ - العاصفة | ١٥٩٩ | ١٨ - هنرى الخامس |
| ١٦١٣ | ٣٧ - الملك هنرى الثامن | ١٥٩٩ | ١٩ - يوليوس قيصر |